مبادئ الحياة

د.عبادة معروف

دار.... للنشر ،الطبعة الأولى2015

حقوق الطباعة و النشر محفوظة للكاتب

مقدمة:

كما تطوف الفراشات حول النار دون أن تلامسها ،تطوف أرواحنا حول الحقيقة دون أن تقاربها ،كما تحتاج أوتار الكمان لعصاه تداعبها،تحتاج عقولنا إلى الرغبة و الجرأة لتحكّها.

إن هذه السطور هي شهاب قد يلمع في حياتكم لبرهة فيلفت نظركم لمراقبة السماء و ما تحمله من متعة و سرور ،انه صرخة قد تخبركم إنكم ما زلتم قادرين على الإنصات بينما تضجون و تثرثرون ،انه خطوة قد تكون بسيطة جداً ولكنها ستريكم من أين الطريق، و عليكم أن تمشوها بأنفسكم .

أتمنى أن تقرءوا سطور هذا الكتاب بتروٍ بعيدا عن عوامل الإزعاج ،و أن تشعروا و تفكروا فلربما ساعدتكم كلماتي المتواضعة على كسر قيود لا ترونها الآن و لكنكم تشعرون بها ،و لربما ولّدت لديكم تنهيدة أخبرتكم بأنكم تتنفسون بالفعل .

المبدأ الأول:العدم و الوجود

(ليس من المهم أن نعرف من أين أتينا ،المهم أن نعرف إلى أين نحن ذاهبون)

غالبا ما يقوم المتأملون بإغماض عيونهم عند البدء بالتركيز،و كما هو معلوم فان العين تصور بينما يرى الدماغ ،و كأنهم يريدون أن يروا فعلا دون أن تعيقهم الصور الملتقطة ! أمر أخر يفعله هؤلاء هو التركيز على إيقاع التنفس و ضبطه ،و لنلاحظ النقطتين اللتين يصل بينهما خط نسميه حياتنا و التي اعتقد أنها الجزء المصور بالعين ،أما حياتنا فهي الكل الذي نحاول أن نراه بعد تحييد آلة التصوير !

في هاتين النقطتين أمور مشابهة لحالة هؤلاء المتأملين ،فالوليد يكون مغمض العينين فيما تتحرر مادة السورفكتان في رئتيه و يبدأ بضبط إيقاع تنفسه ،و عند الموت يغلق المرء عينيه و يضبط تنفسه على إيقاع لا ندركه في الخط الواصل بين الولادة و الوفاة فنقول:لا يتنفس !

لقد قال الكثير من الفلاسفة الصينيين الذين اعتزلوا الناس و عاشوا في الجبال النائية ؛ليتحفوا العالم بفلسفتهم الرائعة قالوا إن الناس قديما سموا الفلسفة بالقول الثقيل ؛بسبب ميل الناس الفطري إلى التحجر الفكري، ولأن المسلمات أسهل طريقة لتحديد الحقيقة التي لا حدود لها و التي يرغب الإنسان دائما في الاستحواذ عليها ،و لكي يستحوذ عليها يتوجب عليه تحديدها ؛ليحيط بكل جوانبها و يدعي امتلاكها فيتحقق له بذلك الاستقرار النفسي و العاطفي ، و يبحث الإنسان عن الاستقرار بسبب الخوف من المجهول، و المجهول هو الموت المرعب للإنسان و لمعرفة المستقبل لا بد من معرفة الماضي ،و لهذا يبحث الإنسان في ما قبل الولادة ،انه و بقدر ما هو متعلق بهذه القطعة الواصلة بين الولادة و الموت بقدر ما لديه هاجس اختراقها و تجاوزها ؛لأنه يعلم انه سيغادرها عاجلا أم آجلا و يريد أن يعرف كيف سينقذ نفسه من خطر مغادرتها و هو يعتبر مغادرتها خطرا ؛لأنه مجهول،و المجهول خطر و مخيف .

يحاول الإنسان في كل الحضارات و المثيولوجيا أن يعود إلى هذه النقطة ،ففي كل الأدبيات الإنسانية و على الأقل حتى ظهور المذهب المادي يريد الإنسان العودة إلى تلك النقطة ،فيرفض في أدبياته الموت عن طريق إيمانه بالحياة بعد الموت و التي تعيده بالمحصلة إلى تلك القطعة و تشعره بالأمان ؛لأنها ببساطة الشيء الوحيد الذي خبره و تعامل معه و عاركه و تعلم منه ،و هذه العودة تكون بنوعية حياة أفضل أو أسوأ تبعا لما هو عليه من خير أو شر في الحياة التي يعرفها ،و

هو يصف المكافأة أو العقوبة التي سيحصل عليها عند العودة إلى هذه الحياة بالماديات التي خبرها و أدركها في حياته الإنسانية التي نعيشها و نعرفها ،و هذا يثبت أنه عاد إلى نفس القطعة و لكنه يرفض ذلك لأنه سيقع في معضلة الوصول إلى خط النهاية مرة أخرى ؛لذا أجمعت كل الحضارات على أن الانتقال للحياة الأخرى هو أبدي .

إن هذا الأمر حقق للإنسان و ضمن وعي جماعي و جهود فردية قام بها بعض الأشخاص كهؤلاء الذين يغمضون أعينهم ،حقق الاستقرار النفسي و الراحة من هاجس الأسئلة الخالدة التي تلاحقه منذ ولادته و تقول له من أنت ؟ من أين أتيت ؟ و إلى أين أنت ذاهب ؟ ، و كما اتفقنا فان ميل الإنسان للتحجر الفكري يدفعه إلى الإيمان بالمسلمات التي صنعها له بعض الناس ممن حاولوا بأنفسهم الغوص في الأسئلة الخالدة فأراحوا السواد الأعظم من البشر من ميزة لهم كأرقى نوع من أنواع الحياة على الأرض وهي ميزة الوعي الاستبطاني.

إن هذه النتائج توصل لها الإنسان ليريح نفسه من ثقل الفلسفة والبحث في أعماق ذاته بعد أن عجز عن إيجاد حل مادي للخلود، وتعج أدبيات الإنسان بقصص البحث عن الخلود و محاولة الوصول إليه ،و لكن لم يستطع الإنسان حتى الآن الوصول إليه ،و بما أنه لا يمكنه البقاء دون حل استعان بالميثيولوجيا ؛لتأمين حل غير مادي و غير ملموس بأدوات معروفة لنا على القطعة المستقيمة ،و لكن هذا لا يعني أن الإنسان استسلم ،انه يبحث حتى الآن عن الخلود .

تحدثنا عن المذهب المادي الذي لا يؤمن بالخرافات المثيولوجية التي أراحت الإنسان من التفكير و حققت له الأمان العاطفي و لكن لماذا ؟ لأنه ببساطة بدأ يملك وسائل علمية عملية تجعله يعتقد أنه يقترب من الخلود أي يبتعد عن نقطة النهاية في القطعة المستقيمة ،و بالتالي فهو ليس بحاجة لحياة بعد الحياة ! بعد أن استطاع العلم الحديث أن يقدم علاجات لأمراض مستعصية ،أن يكتشف جينا لدى الأشخاص المعمرين ،أن يزرع قلب جسد في جسد أخر ،و أن يصل لتقنيات إنعاش تعيد ميتا إلى الحياة ،و يعده الخيال العلمي بتجميد الجثث لقرون و القدرة بتطور العلم على إعادتها للحياة ،و بالثقة التي يمنحها هذا العلم للإنسان كونه ماديا و مرتبطا بما يملك بين يديه فانه يغلب صوت العقل الذي أغفله عندما آمن بالميثيولوجيا ،الآن قال بشجاعة الموت هو النهاية ،و هذه الشجاعة نابعة من ثقته بالعلم على أن يؤمن له الخلود ،و لولا هذه الثقة لأغفل العقل و لما تحلى بالشجاعة .

إن عمر الإنسان قصير جدا مقارنة بأحلامه و قد تأخر العلم في إيجاد الحل المادي الذي دفع الإنسان إلى التخلي عن المثيولوجيا فبدأت الخطوط الشاقولية بالظهور لتتقاطع مع خط العلم الأفقي ،فبدأ ظهور علم الباراسكيولوجي و مفاهيم كالكارما و الآورا و نشوء جمعيات للبحث في الأبعاد المختلفة لحياتنا ،أي أن هذه القطعة المستقيمة التي تصل بين النقطتين و نعيش فيها قد تتعامد عليها خطوط شاقولية تصلنا مع عوالم أخرى !! أي أن بإمكاننا التواصل و التسلق و الابتعاد عن نقطة النهاية حتى لو كان هذا الابتعاد بالدخول في هذه النقطة !.

كل ما تحدثنا عنه كان و عيوننا مغمضة ،و لكن عندما نفتحها نبدأ بالتقاط الصور ،عالم مليء بالضجيج و التحديات ،يجب معاركة الحياة و إشباع الرغبات، النضال من أجل البقاء فلا أحد يستعجل النهاية ؛لأنه لا يثق في لاوعيه بما بعدها حتى و لو آمن بالميثيولوجيا ! الحياة مزدحمة ،و هي عبارة عن حلبة مصارعة و لهذا فهي بحاجة لعيون مفتوحة فإذا أغمضت عينيك قد تتعرض للكمة تقذفك إلى النهاية ،و لذا فمن الأسهل الإيمان بالمسلمات التي خطها لنا من أغمضوا أعينهم و الذين كان مصيرهم في الغالب تلك اللكمة التي أودت بهم لأن أفكارهم كانت غير ما اعتاد معاصروهم من مسلمات ،ثم صارت هي نفسها مسلمات !!

السؤال المطروح الآن هو هل نستطيع أن نغمض أعيننا و نتفادى اللكمة ؟هل نملك الرغبة أو الشجاعة للبحث عن الحقيقة بأنفسنا ؟ كم نسبة البشر الذين يملكون الرغبة و القدرة ليستمروا بالبحث بأنفسهم عن أجوبة شافية لأسئلة الطفولة؟هل سيأتي وقت نصل فيه جميعا إلى الاستفادة من وعينا الاستبطاني و عدم قتله بالمسلمات ؟؟ ربما سنصل إلى ذلك اليوم و ربما هو حلم من أحلامنا و للحياة قوانينها التي تسير رغما عنا !! حتى لو كان هذا حلما فيجب أن نحلم ؛لأن الحلم جميل و لأن الحلم يعني أن نسير إلى الأمام باتجاهه،و عندما نتوقف عن الحلم نتوقف عن الحركة !وكل شيء حي في هذا الكون يتحرك ،و بتوقفنا عن الحلم نصل إلى نقطة النهاية التي نهرب منها عبر تاريخنا !.

انه لمن الجميل أن نصل إلى وقت يملك كل واحد منا فيه فكرته الخاصة عن العدم و الوجود ،عن الموت و الحياة كما نملك بصمات مختلفة ،عندها سيكون للنقاش و الجدال متعة ولذة و أنت تحاول(ين) الغوص في أفكار غيرك متسلحا(ة)بمعدات غوص من أفكارك ،و تشاهد(ين)الكثير من الغواصين في بحر الفكرة ،و تشعر(ين)بمتعة و لذة أن تكون(ي)ارقي أنواع الحياة على الكوكب ،النوع القادر حقا على التفكير و التواصل ،و سينتهي إلى الأبد ذلك النقاش الذي يوافق عليه الجميع ،يقوله أحدهم و يهز البقية برؤوسهم مصدقين موافقين ،فيما يروى في

مكان أخر من العالم حديث أخر من شخص أخر حوله أشخاص يهزون برؤوسهم مصدقين موافقين ،و لو نقل متحدث الجماعة الأولى للجماعة الثانية لصار سخرية لهم و ظهرت قدرات العقل في نقده ،كما ستظهر هذه القدرات لو نقل متحدث الجماعة الثانية للجماعة الأولى !.

و أخيرا هي دعوة لنكون نحن لا ما صنعونا لنكونه ،دعوة لنفتح عيوننا جيدا و ندرس كل الصور و اسلوب حركتها ؛لندرس كل الاحتمالات لكل اللكمات و لنغمض بعدها عيوننا مطمئنين باحثين عن ذواتنا متجاوزين كل مخاوفنا.

المبدأ الثاني:قوة العقل

(من الجيد أن ندخل الأشياء المفيدة إلى عقولنا ،و لكن من الرائع أن نتمكن من إخراج الكنوز المخبأة بداخلها)

قال المتنبي: ذو العقل يشقى في النعيم بعقله

و أخو الجهالة في الشقاوة ينعم

و لكن ما الذي دفعه إلى قول هذا ؟ إنها ببساطة الطبيعة الإنسانية التي تنتظر التصفيق من الآخرين ،و عند عدم حدوث هذا التصفيق يصاب المرء بالإحباط حتى لو لم يتعرض للنقد ،فقط بمجرد تجاهله و هو الذي فكر و أبدع و أنتج فلا يلتفت له أحد ! لذا فان التفكير يجب أن يكون للذات أولا و ليس للآخرين .

عندما نقرر أن نفكر ،و التفكير حتى يكون أمرا حياتيا يوميا أو على الأقل مستمرا هو بحاجة لقرار ،و عليك إذا أن تكون(ي)قادرا(ة)على اتخاذ القرار ،و اتخاذ القرار يعني حتما الالتزام الأخلاقي بتنفيذه . إذاً عندما نمتلك هذا القرار نكون قد وصلنا إلى إجابة السؤال القائل : لماذا نفكر ؟ ما الفائدة من التفكير ؟ في أي شيء سنفكر ؟ ، إن التفكير يكون نابعا من الاهتمام أو الحاجة ،و لكن الحاجة أو الاهتمام قد لا تكون أمرا مستمرا ،فلدي حاجة أو اهتمام بشيء فكرت فيه ووصلت إلى نتيجة أو لم أصل و لكن الأمر انتهى ! هذا يعتمد على قياس قطر الدائرة التي تضع(ين) نفسك بها ،إذاً عندما نتخذ القرار بالتفكير سنرسم دائرة حول أنفسنا واضعين فيها كل حاجاتنا و اهتماماتنا ،و لتحقيق الاستمرارية سنجعل من قطر الدائرة مستقيما و ليس قطعة مستقيمة فيكون قابلا لتوسيع الدائرة دائما !.

إن المعضلة الأساسية التي تواجه عقولنا (الواعية على الأقل) هي إدراك مفهوم البداية و النهاية ،فعندما اخترعنا الأرقام لنعد الأشياء بدأنا بواحد اثنين ثم لم نعرف أين ينتهي العد ؟! ثم ظهرت الحاجة لنعبر عن اللاشيء بالعدد صفر ،ثم اكتشفنا عند رسمنا لمستقيم الأعداد أنه على يسار الصفر يمكن وضع نفس الأرقام الموجودة على يمينه بإعطائها إشارة سالبة ،و كان هذا نتاجا لتطور تفكيرنا و تغيير حاجاتنا ،إننا لا نعلم أين ينتهي طرفا هذا المستقيم فعبرنا اصطلاحا عن ذلك ب +∞ و-∞ ، و لكن لننظر إلى المسافة الفاصلة بين الصفر و الواحد و لنجزئها فهل نستطيع أن نحدد أقرب نقطة (أي رقم عشري) إلى الصفر و كذلك أقرب نقطة إلى الواحد !! لقد اصطلح في علم الرياضيات على ∑ايبسيلون كأصغر رقم قرب الصفر ،و لكن لنصغر أنفسنا و نغوص بين ايبسيلون و الصفر ،فهو أقرب رقم إلى الصفر و بما أنه أقرب إذا يوجد مسافة ،نحن الآن صغار كفاية لنسير على تلك

المسافة و نأكل عرانيس الذرة المشوية و سنصل في وقت ما إلى الصفر حيث سيكون بيننا و بينه خطوة ،و لكن هذه القطعة مسافة و إذا صغرنا أنفسنا سنسير في تلك المسافة و نأكل البوشار هذه المرة في طريقنا إلى الصفر ،و هذا يعني أننا بين الصفر و الواحد نواجه معضلة اللانهاية من الجهتين ،و هذا ينطبق على أية مسافة بين أي رقمين ،و لكن مهلا قد نكون توصلنا لنتيجة منطقية ما من هذا ! إننا و نحن بالحجم الطبيعي نرى الصفر و الواحد أي أن هناك نهاية من الجهتين إذاً من المنطقي أن ينطبق ذلك على +∞ و-∞ !!! جيد لقد وصلنا لشيء،و لكن مستقيم الأعداد الذي نتحدث عنه هو محور السينات أي أننا برسم مستقيم شاقولي عليه هو محور الصادات نكون قد خلقنا أرقاما جديدة ببعدين ،و من الممكن أن نرسم محور العينات لنحصل على أرقام ثلاثية الأبعاد و نفس المنطق يقول أن هناك عددا لا نهائيا من الأبعاد ،أي أن النقطة المعبر عنها بالرقم واحد صارت عددا لا نهائيا من الواحدات بأبعاد مختلفة !!(0،1) (0،0،1) و ..... لا انوي و لا أملك القدرة على الغوص في عالم الرياضيات و لكنها فقط طريقة للتعبير عن فكرة أن التفكير سيوصلنا إلى حاجة المعرفة ،و هذه المعرفة بحاجة إلى عمل دءوب،و جهد و إصرار ،و ستقودنا إلى المعرفة بأننا لا نعرف و هنا أمامنا خياران ،إما أن نبحث و نعرف متحملين التعب و مكتفين بلذة المعرفة و قد يحالفنا الحظ و نصل لنتيجة مفيدة في مسألة ما فنحصد شيئا من التصفيق ،و قد لا يحالفنا ! ، الخيار الثاني هو أن لا نبحث و أن نكتفي بالتفكير لنصل لوضع فلسفة أو فنتازيا ممتعة ؛ليصبح التفكير مادة حوار تحلق بالروح بعيدا ...

و بالعودة إلى شاعرنا فيبدو أنه فكر فتعب من ملاحقة سراب المعرفة و اللهاث وراء ضوء الفكرة ،و قد كان يريد الأمجاد من التفكير و من منا لا يريدها ،و لكني أرى الموضوع بواقعية أكثر و لا يعني هذا أنني لا أحلم ! ،يذكرني هذا بقول صديقة أخبرتني بعنجهية ناعمة أن الرجال يريدون الكثير و يقدرون على القليل ،و هي بهذا أصابت كبد الحقيقة التي نزف منها شعر صاحبنا .

إن التفكير قادني إلى اعتقاد أن الأشياء من حولنا بسيطة و متشابهة ،و لكن جهلنا بحقيقتها و حجمنا يلعب دورا في الغرق الحاصل لنا عند البحث،حجمنا مهم جدا كما أسلفت في مثال مستقيم الأعداد ،فنحن مثلا لن نستطيع الانتظار لنرى تغيرا كتكون المحيطات و تطور الحياة ؛لأن عمرنا مهمل بالنسبة لهذه الفترة الزمنية ،فلو كانت الأرض إنساناً مثلا و هي تمر بأحداث في حياتها فانك كانسان(ة) حدث مهمل و تافه بالنسبة لها ،لا يمكنها حتى ملاحظتك ! بينما حياتك مهمة بالنسبة لك ،و مليئة بالكثير من الأحداث و الصراعات ،قصص و ذكريات و ملاحم ،لكنك في حياتك هذه لن تلاحظ(ي) حياة ذبابة مثلا ؛لأن الفترة التي تعيشها

أصغر من أن تلاحظ(ي) تفاصيلها وهي بالنسبة لك طيران عشوائي من هنا إلى هناك بلا فائدة و لا هدف ؛و لكن بالنسبة للذبابة فهي مليئة بالأحداث و الصراعات وقصص الحب الرومانسية و التفكير في كيفية تحسين حياة الذبابات الأخريات ،قد تكون هذه الذبابة قيادية مثلا و لديها فلسفة غيرت عالم الذباب ،بينما لم تلاحظ(ي) إلا أنها غفت على قطعة الحلوى خاصتك فيما كنت تعيش(ين) واحدة من ذكرياتك .

إن كوكبنا يدور مع كواكب أخرى حول نجم هو الشمس ،و هذا يشبه أبسط نموذج مطروح للذرة فهي تتكون من نواة تدور حولها الكترونات و هذا يذكر بما سبق عن التشابه بين الأشياء ،إن الذرات تتجمع مع بعضها لتكون الجزيء و هو أصغر جزء يمكن الحصول عليه من المادة بالطرق الفيزيائية التقليدية و هو وحدة بناء المادة ،و تجمع النجوم مع كواكبها يكون المجرة و هي وحدة بناء الكون ،تجمع هذه الجزيئات كون المادة التي قد تكون عبارة عن كوب من الزجاج ،تخيل(ي) لو أن هذا الكون ما هو إلا كوب من الزجاج المليء بالشاي الأخضر في يد أحدهم و نحن بكل حياتنا و تاريخنا و حضاراتنا أشياء مهملة موجودة في جزيء واحد من مادة الزجاج الذي بيده ،و ليس في جزيء بل في ذرة ،بل في إلكترون ،بل على سطح هذا الإلكترون !!!

تخيل(ي)أيضا أن هذا الكائن الذي يشرب الشاي الأخضر بعد يوم عمل طويل و يتحدث إلى زوجته عن مستقبل الأطفال و المصاعب التي تواجههم في الحياة ،قد قرر أن يجدنا ! فطحن كوب الزجاج الذي في يده و حصل على الجزيء الذي نوجد فيه ،و نحن حتى الآن لم نشعر بشيء فمجرتنا لم تمس ،و لكن ربما تلتقط (ناسا) إشارات عن تغيرات في الكون و ابتعاد المجرات عنا ☺ و قد لا تلتقط لأن هذا قد يستغرق ملايين السنين ليحدث بينما هو دقائق عند ذلك الرجل .

لقد حصل على الجزيء الذي نختبئ به ،و لكنه مصر على إيجادنا ،ولأجل ذلك قام ببناء مفاعل نووي للوصول إلى ما على الإلكترون دون أن يفصل النواة كي لا تنتهي الحياة على الأرض ،بل ليصل إلى بعض الأشخاص الذين لم يلتزموا بتعاليمه و أغضبوه ☺ أي أنه سينشئ أكوانا تفوق كوننا بملايين المرات ليصنع الأجهزة التي ستوصله لنا ! ما مدى احتمالية ذلك في رأيك ؟ ما الجدوى الاقتصادية من هذا ؟

على كل حال ربما لا يكون من يمسك الكأس رجلا عالما و غنيا ليفعل هذا ،و قد لا يكون الكأس مليئا بالشاي الأخضر فهناك احتمال أن يكون مليئا بالحليب و يكون في يد طفل في الرابعة من عمره و أمه توبخه لينظف أنفه ! ☺ و هو على

كل حال ليس خالق هذا الكأس بل خلقه عامل مسكين بطريقة النفخ البدائية ،و هو الآن مريض و مدين و لا يستطيع أن يصنع تلك المفاعلات ليصل إلينا !!

ما أريد قوله هو أن التفكير قد يقودك لأمور و حقائق مناقضة للمسلمات التي ترعرعت عليها ، و قد يقودك ببساطة إلى حقيقة أنهم كذبوا عليك لسنوات طويلة و عليك أن تكون(ي) شجاعا(ة) كفاية لتواصل(ي) التفكير و تصل(ي) إلى قناعاتك الخاصة .

هناك الكثير من الكتب و الأبحاث التي تحدثت عن قوة العقل و تقنيات التحكم به كعصف الدماغ و التركيز و تدريب الذاكرة ، و يمكن اختصار كل هذا بعاملين هما القدرة الفطرية التي تولد معك و هي مميزة لك،و العامل الثاني هو التدريب، و التدريب هو الأهم لأن العضو الذي لا يستعمل يضمر ، يصل التدريب إلى نتيجة تحسين القدرة الفطرية و عدم التدريب سيدمر القدرة الفطرية حتما .

لنتخيل عالماً مليئا بالمفكرين ، كم سيكون هذا العالم خلاقاً و مبدعا ؟ و عندما نفكر و تتأزم الأفكار يجب أن نبحث عن فكرة كوميدية فالابتسامة أرقى ما يمكن أن نقدمه ؛لأن الابتسامة هي دليل وجود العقل الذي نستخدمه في التفكير ، إنها دعوة للابتسام دائما و في كل الظروف ...

المبدأ الثالث:الإبداع في حل المشاكل

(كل مشكلة لها حل ،لكن المشكلة في إمكانية تطبيق الحل ضمن الإمكانيات المتاحة ،و الإبداع هو خلق حل مناسب للإمكانيات ،يملك إمكانية التطبيق و يجتث المشكلة)

هناك قول مأثور بأن كل شيء يبدأ صغيراً ثم يكبر إلا المشكلة تبدأ كبيرة ثم تصغر ،في إشارة تفاؤلية إلى أن الوقت سيخفف من حجم المشكلة تدريجيا إلى أن يقضي عليها في النهاية ،و لكن هذا بافتراض أن الحل صحيح ، فلو افترضنا أن خيطين تشابكا بعدة عقد بين أيدينا فان الحل الصحيح سيفك العقد، لكن هناك احتمال لحل خاطئ يعقد الخيوط أكثر و بالتالي يضخم الحل المشكلة و لا يحلها .

طالما أن الإنسان يتنفس فهو يتنفس المشاكل و يتنفس الخطر ،و هذه حقيقة يجب أن ندركها ؛لأن إدراكها يقودنا إلى الاستعداد لها و هذا الاستعداد يجعلنا أقدر على مواجهتها و التغلب عليها ،و من لا يدرك هذه الحقيقة فسيرتعد أمام المشكلة حتى لو كانت بسيطة وسيعمي الارتباك بصيرته ،فيتخبط في مشكلته ليعيش يائسا شاكيا أو لتقتله هذه المشكلة و هذا هو قانون الطبيعة التي لا ترحم ،هذه الطبيعة التي تسعى إلى الكمال و تسير بخطى ثابتة على طريق التطور ،لا تريد الحياة للعناصر الضعيفة التي لا تستحقها،و تمنحها للأقوى ؛لأنه الأقدر على المواجهة و تحمل تقلبات الحياة و معاركها.

إن وقوفك خلف حائط يحجب عنك ضوء الشمس لا يعني أن هذا الحائط أكبر من قرص الشمس ،و لكن لتعرف(ي) هذه الحقيقة عليك الابتعاد عنه، وكلما ابتعدت عنه أدركت كم هو صغير ،وإذا ابتعدت بالقدر الكافي سيختفي تماما ،و لكن هذا يتطلب منك القوة و الجرأة لتبتعد(ي) عنه،وكما تحدثنا عن الحل الخاطئ فان مشيك في الاتجاه الخاطئ لن يؤدي إلى ابتعادك عنه بل إلى ارتطامك به و هذا سيسبب لك مشكلة أخرى من الكسور و الجروح ،و لن تبقى المشكلة فقط في قرص الشمس ،و السؤال الآن كيف نكون مبدعين في حل مشاكلنا؟

أولا: علينا أن ندرك بأن المشكلة جزء من الصراع و الصراع هو أبجدية الحياة فلا حياة بدون صراع و مشاكل ،هذا الإدراك سيحمينا من الصدمة التي تسببها المشكلة و التي تشوش أو تقضي تماما على كل فرص الحل ،و يعلمنا كيف نتعامل مع جزيئات المشكلة و ليس مع انفعالاتنا تحت تأثيرها ،هذا لا يعني بالطبع أننا لن نصدم إذا فقدنا شيئا ماديا أو معنويا هاما لنا ،و أننا لن نقع بما سيقع به ذلك الشخص غير المدرك ،و لكننا كمدركين لحقيقة المشكلة و الصراع ووجودهما الحتمي في الحياة ،سنتخلص من هذا الضياع الذي تسببه الصدمة بسرعة أكبر ،انه تماما كالفرق بين الشجاع و الجبان فكلاهما يخاف عند وقوع خطر ما و يفرز

كلا جسديهما الأدرينالين الذي يزيد من ضربات القلب و مرات التنفس و يضخ الدم إلى العضلات الهيكلية ،أي أنه يؤثر على الشجاع و الجبان بنفس الكيفية ولكن أحدهما سيستخدم مفعوله للهرب و هو يساعد على الهرب و الأخر سيستخدمه للقتال و هو يساعد على القتال .

هناك تفصيل صغير و هام هنا و هو العقل الذي يقود للإدراك ،فالشخصين في المثال السابق انطلق لديهما الأدرينالين لأنهما شعرا بالخطر ،فماذا لو لم يدرك أحدهما الخطر ؟انه أمر راجع للعقل و إدراكه،و هنا لا نستطيع أن نتحدث عن ردة فعل كليهما على المشكلة ؛لأن أحدهما و بغض النظر عن شجاعته لم يدرك أن هناك خطرا ،لم ير الخطر ،و هذا أيضا ينطبق على المشكلة و يعيدنا إلى أهمية المبدأ الثاني الذي سلف ذكره و هو قوة العقل ؛لأن عدم وجود هذه القوة قد تجعلنا لا ندرك ولا نرى مشكلة ما على الرغم من وجود تأثيرها في حياتنا ،و هذا يقودنا إلى استنتاج مهم مغزاه أن ليس كل المشاكل تواجهنا و تقف في طريقنا و لكن كل المشاكل تلقي بظلالها على حياتنا .

هنا يمكننا الحديث عن تقنية في حل المشاكل هي تجاهل المشكلة ،و هذه التقنية يمكن تطبيقها في هذه الحالة التي لا تعترض فيها المشكلة طريقنا مباشرة بل تلقي ظلالها على حياتنا فقط ،فيكون أمامنا خياران ،أما تجاهلها و المضي قدما بناء على ظن منا أو حسابات بأن تكلفة تحمل هذه الظلال أقل من تكلفة التوقف و البحث عن مصدرها،و إزالة الجسم المسبب للظل أو البحث عن المشكلة و محاولة حلها و هذا يعتمد بالدرجة الأولى على نوعية الحياة التي نرتضيها لأنفسنا .

ثانيا: إن المشكلة تواجهنا ككتلة واحدة و علينا تفكيكها أو رسمها على شكل مسألة رياضية تتضمن معطيات و مطلوب و حل ،و بالتالي نبدأ بفرز المشكلة فنجد كل المعطيات التي يمكننا أن نراها ،كل السببيات التي خلقت المشكلة ،الضرر الذي تسببه لنا،هل للوقت أهمية في حل هذه المشكلة ؟ هل عامل الوقت ضدنا أم لصالحنا ؟هل المطلوب العودة للحالة السابقة لظهور المشكلة ؟أم المطلوب تغيير الحالة السابقة التي ربما شكلت سببيات ظهور المشكلة ؟ و لكل مشكلة رحم تتوالد منه الأسئلة التي تشكل المعطيات و تقود الى الحل ،و يقتضي الإبداع في حل المشكلات الابتعاد عن النمطية و خلق أمور متجددة و ذات خصوصية .

السببية و معرفتها هامة جدا في إيجاد حل مناسب للمشكلة و لكن بعض المشاكل يمكن حلها في مرحلة واحدة و تكون بإزالة الأسباب ،و البعض الأخر يقتضي إيجاد حل سريع و هو الحل الأولي و حل بطيء ثانوي يعالج الأسباب كخطوة ثانية . و بعد النجاح في إيجاد الحل يجب أن يكون هذا الحل بمثابة لقاح يحمينا من

مشاكل مشابهة ،أي يجب إجراء دراسة و تقييم لكل حالة و استخلاص الدروس و العبر التي تزيد في قدرتنا على مواجهة التحديات المستقبلية.

ثالثا:ما هي العوامل التي تزيد من قدرتنا على حل المشاكل ؟

1-القوة و المعرفة و هما أداتان جد هامتين في حل كل المشكلات .

2-التدريب بالبحث عن مشاكل الآخرين و مشاكل المجتمع و الإنسانية و الكون ،مما يوسع المدارك و ينشط العقل في مجال القدرة على إيجاد الحلول ويدفعنا إلى امتلاك الأدوات التي سنشعر بحاجتنا لها لإيجاد الحل لمشاكل غيرنا و بالتالي نكون مرتاحين من الضغط المباشر و قادرين على شحذ مهاراتنا و اكتساب الخبرات .

3-دراسة قصص المشكلات التي تعرض لها أشخاص ،مؤسسات أو شعوب ،و تم إيجاد حلول لها و تقييم هذه الحلول و هذا يشبه دراسة مسألة رياضية محلولة ،باعتبار أن مشكلتنا الخاصة هي مسألة بحاجة لحل و كما قلنا أنه بعد حلها نكسب الخبرة من هذه التجربة و تكون كاللقاح ،فبدراسة المشكلات المحلولة نتعلم من غيرنا و نحصل على اللقاح منهم ،أي تماما كالمثل القائل : الذكي يتعلم من أخطائه لكن الحكيم يتعلم من أخطاء الآخرين.

4-تقنية الدوران و الطيران :لنفرض أن المشكلة هي بناء ذو شكل هندسي معقد و نحن أمامه فسنرى البناء من المسقط الأمامي و سنرسمه و نحدده من هذا المنظور ،و هذه التقنية معناها أن نستطيع تحرير عقولنا لنتحرر من الزاوية التي نرى بها الأمور و التي وضعنا فيها بطريقة ما،لننتقل إلى الوجه الخلفي و الجانبي و نحلق لنرى المسقط العمودي و بالتالي يمكننا رسم المبنى بالاعتماد على مهاراتنا التي تحققها لنا المعرفة ،فبدونها لن نستطيع رسم شكل المبنى الحقيقي حتى لو استطعنا الدوران و الطيران و رسم كل المقاطع. بالمناسبة هذا لا ينطبق فقط على المشكلة بل على أي موضوع جدلي حيث نسمع تعبير وجهة نظرك ووجهة نظري ،و الكل يعتقد أنه محق و هو محق ،و لكن الاختلاف ينشأ من عدم إدراك الجميع أن كل منهم يملك فقط جزءا من الحقيقة .

ما أحاول قوله أنه من الممتع السعي نحو بناء أنفسنا لنصبح كبارا بما يكفي لرؤية اللوحة الكبيرة الناتجة من جمع المربعات الصغيرة التي يحملها الصغار الذين لم يبذلوا أي جهد في سبيل تكبير أنفسهم لدرجة تمكنهم من رؤية الصورة كاملة ،و كل ما يرونه هو الصورة على المربع الصغير الذي يحملونه و يعتقدون

أنها الحقيقة المطلقة ،و يمكنك كانسان(ة)بحجم يؤهلك لرؤية اللوحة الكبيرة أن تفهم(ي) و تتفهم(ي) تعنتهم الناتج عن محدودية حجمهم أي محدودية معرفتهم .

إن ما يجمع الناس أو يفرقهم هو الإيقاع و لهذا يرتاح العالم مع العالم و الجاهل مع الجاهل ولا يرتاح العالم مع الجاهل ،و هذه دعوة لنجعل من أنفسنا أجهزة متغيرة الترددات و لنضبط الموجة على تردد من نريد أن نتوجه له و ندعوه إلى الارتقاء بنفسه و له الخيار .

المبدأ الرابع: الفضائل العشرة

(كل ما يحقق ارتقاء الإنسان الفكري و النفسي و المادي هو فضيلة ،و كل ما لا يحقق هذا الارتقاء لا يمكن أن يكون فضيلة)

أولا:القوة

هي الفضيلة الأولى و الأهم التي تفرضها الطبيعة و قوانينها و جزاء كل من يستخف بهذه الفضيلة أو يقدم عليها أية أخلاقيات هو أن تدوسه أقدامها الجبارة دون رحمة ،و كم من الفضائل و الأخلاقيات تم سحقها من قبل قوة نعتبرها همجية أو بربرية.

إن القوة هي درع كل الفضائل و لن يحمي فضائلك الهشة إلا هذا الدرع وبالتالي فهو فضيلة و أهم فضيلة ،و نحن هنا نتحدث عن القوة المادية التي هي جزء من القوة و ليس كلها ،القوة المادية هي الدرع و لكنها تحتاج إلى قدر مواز و مساو لها من القوة الأخلاقية و القوة الفكرية ،و هذه العناصر الثلاثة المادية و الأخلاقية و الفكرية هي مكونات القوة و بدون وجودها مجتمعة سيكون هناك خلل في بناء القوة وبالتالي لن تحقق ارتقاء الإنسان بل و ربما لن تحافظ على بقائه أو ذكراه ،و بالتالي فهي ليست فضيلة .

إن العناصر الثلاثة للقوة أشبه بمتعضية حية تشكل القوة المادية عضوها العضلي ،و القوة الفكرية عقلها،و القوة الأخلاقية قلبها ،إن استخدامنا للقوة المادية يجب أن يكون مضبوطا و محكوما بقواعد المصلحة و الفائدة من استخدامها،وكيفية استخدامها ،و هذا ما تنتجه القوة الفكرية ،أما القوة الأخلاقية فهي تبحث في المقارنة بين الخيارات و البدائل للخيارات المطروحة ،و حصر استخدام القوة المادية في مجال دفع الخطر و تأمين المصالح الحيوية و ليس المصالح الشرهة ،و تحسين نوعية حياة الجميع من حولنا.

كانت تراودني منذ الطفولة رغبة عارمة في حماية الضعفاء ،و لم يستغرق الأمر طويلا لأدرك أنه إذا أردت أن تحمي الضعفاء فعليك أن تكون قويا ،إن وجود الأقوياء الذين يستمدون قوتهم من سحق الضعفاء يدفع إلى السعي للمزيد من القوة ،فالقوة هنا حاجة لمساعدة الضعفاء و الارتقاء بهم و تحجيم القوة المشوهة التي لا تملك إلا العنصر المادي ، القوة تؤمن لك أن لا تساوم(ي)و لا تنحني ولا تذل و لا تحتل ،و بالتالي تؤمن الحرية و الكرامة و حرية التفكير و الحياة ،و بالتالي فهي فضيلة .

الفضائل ليست كما نحاول تلميعها و تقديمها خالية من المآسي و الدماء ! نحن ببساطة نحاول أن نكذب على أنفسنا ،فالطبيعة و تاريخ الإنسانية يثبتان بما لا يترك مجالا للشك أن البقاء للأقوى و كل الامتيازات و الغنائم للأقوى ،الطبيعة لا تبالي بموت الفريسة و لا بإغراق مدن و قرى ،لا تبالي بحرق شعوب بالبراكين و إبادة شعوب بالأسلحة ،و لا يجب أن نغفل هذه الحقائق لنبني قوتنا الفكرية ،هذه القوة التي تعلمنا أنه علينا أن نعيش الحياة كما هي لا كما يجب أن تكون أو كما نعتقد أنها يجب أن تكون .

أما قوتنا الأخلاقية فتشعرنا أنه يجب أن نعيش في ظروف أفضل و أقل سفكا للدماء ،يجب أن نعيش في عالم أقل ظلمة و دموعا و أكثر نورا و ابتساما ،عالم خال من البؤساء و الضعفاء و الفقراء ،و مليء بالثروات و القوة و الفرح ،و لكن ربما تنمو لدينا هذه القوة الأخلاقية و نحن ضعفاء ماديا و سرعان ما تتلاشى عندما نمتلك أسباب القوة المادية و هذا ما توصل إليه سقراط عندما قال:(الظلم طبيعة بشرية تظهر لدى الأقوياء و تختفي لدى الضعفاء)، وإذا استدعينا قوتنا الفكرية مرة أخرى و مررنا على قصص التاريخ سنؤمن بهذه النظرية ،فما العمل و السبيل لجعل القوة فضيلة ؟

ببساطة ننطلق من قوتنا الأخلاقية التي ترغب في تحقيق عالم أفضل ،ثم نستعين بالفكر و ننمي قوتنا الفكرية لنرى العالم كما هو دون تجميل و تدليس و نفهم أسباب كينونته بغض النظر عن رأينا فيها،نراقب تفاصيله و نعتبر من دروسه ،و عندها يأتي دور القوة المادية لتحقيق تغيرات في هذا العالم ،فنرتقي بالبشر و نقوي العنصر البشري و بالتالي نرتقي بالفضيلة .

يجب على كل إنسان و كل مجتمع أن يعمد إلى بناء أسباب قوته ،و أنت كقارئ(ة) لهذه السطور و أنا ككاتب لها علينا آلا نتوقف عن بناء قوتنا حجراً حجرا بمثابرة و صبر ،فلنمارس الرياضة الجسدية و النفسية ،فلنعمق معارفنا و مداركنا و ملكاتنا ،فلنكتسب ما نستطيع من مهارات و لغات و علوم و أساليب تحقق لنا الرضا النفسي و السعادة المنشودة.

ثانيا: المعرفة

إنها الفضيلة الذهبية الأكثر شمولا و تعبيرا عن نوعية الإنسان و قيمته ،فقيمة الإنسان تقدر بما يمتلك من معارف ،المعرفة تمنح القوة رغم أنه ليس كل قوة مبنية على معرفة ،المعرفة تحقق للإنسان الارتقاء بالفكر و تخلق له السعادة ،و تجعل المعجزات أمرا واقعا .

إن الإنسان الشغف بالمعرفة و الذي يحاول أن ينهل منها كل ما يستطيع و طوال حياته هو إنسان يستحق أن ننحني أمامه بإجلال ،و لكن الطريق إلى معرفة شيء ما طويل و شاق و مجهد ،انه كما قال أحد الراقصين عن الرقص أنه أيام قاسية من التدريب الشاق و الممل لتصل(ي) في النهاية إلى لحظة تشعر(ين) فيها أنك تلامس(ين) النجوم ! ، إن معرفة أي شيء يدفع هذه المشاعر إلى السطح ،ناهيك عن فائدتها في الحياة اليومية .

إن المعرفة بحر لا قاع له ولا شطآن ،فكلما عرفت شيئا اكتشفت أنك لا تعرف(ين) أشياء ،و لكن السباحة في هذا البحر متعة لا تقاربها متعة ،ناهيك عن فائدة هذه السباحة ،حتى الأمور التي نمارسها يوميا سيكون لها رونق أخر وسنرى ألوانها و تفاصيلها التي لا نراها عندما نمارسها عن معرفة و ليس كعادات مكتسبة روتينية ،ابتداء من التنفس و طريقة تناول الطعام و ممارسة الحب ،إلى أعقد الأمور التي وصلنا و سنصل إليها كبشر ، إن أفضل الطرق لتوليد الشغف بالمعرفة تكون منذ الطفولة و هي مسؤولية الأسرة و مسؤولية المجتمع ،لا يجب أن نخنق أطفالنا بالأفكار المعلبة و لا يجب أن نعطيهم إجابات قاطعة عن تساؤلاتهم ،بل علينا دفعهم إلى البحث و مساعدتهم فيه حتى يشبوا على مفهوم راسخ ،إن كل سؤال يراودك يتطلب جهدا للوصول إلى الجواب ،ليدفعهم التعب إلى لذة المعرفة .

سبق و تحدثنا عن قوانين الطبيعة و أن القوة من الفضائل التي أقرتها ،و المعرفة مقرة أيضا في الطبيعة ،فعندما تتغير الظروف المناخية أو المعيشية فتخلق لكائن ما بما فيه الإنسان ظروف حياة أكثر قسوة ،فإنها تدفعه إلى معرفة أمور جديدة يستخدمها في البقاء ،فلو لم يشتد البرد على الإنسان العاري لما لاحظ أن بإمكانه ارتداء جلود الحيوانات و فرائها ،و عندما حمته الثياب البدائية من البرد تعلم الدباغة و الحياكة و تطورت هذه المعرفة مع تطور الحاجات .

المعرفة هي التي توسع مدارك الإنسان و تقوي تفكيره ،هي التي تصنع أمجاد الشعوب و تميز الأمم ،باختصار قل(قولي) لي ماذا تعرف(ين) أقل لك من أنت ...

ثالثا: الحب

انه الفضيلة الأكثر شاعرية ،انه وقود الإبداع و ثقافة تخلق السعادة بغض النظر عن الموجودات المحيطة ،الحب هو الإيقاع الذي يجعل الإنسان يرى الوجود جميلا فيدرك أنه يجب أن يحافظ عليه جميلا بل و يزيد من جماله ،انه ثقافة شاملة تسهل مشاق الحياة و تصقل ماساتها المخبأة في الوحل ،انه الناظم لرقصات

الفراشة مع الوردة ،لمداعبة عصا الكمان لأوتاره ،انه الباعث لمسكن ألام المخاض و الولادة إلى جسد الأم عبر مسامات وليدها الملقى على صدرها ،انه الموسع لحدود الأنا المغلفة بالجلد ،المولد للقوة المطلوبة لحماية الأمور الجميلة الضعيفة ،انه المعلم لنا أن على الأرض ما يستحق الحياة . جرب(ي) أن تستلقي على ظهرك في البرية في ليلة صيفية تعج بالنجوم و ستشعر(ين) بسعادة غامرة لا توصف ،إن هذه السعادة نابعة من وعيك اللاواعي بأنك جزء من هذا الكون العظيم بكل امتداداته ،هذا الشعور بالضبط هو ما يحققه الحب ،فهو الثقافة التي تجعلك تنظر فترى .

إن ثقافة المحبة ككل شيء في الحياة بحاجة إلى تدريب و يجب إطلاق العنان للمشاعر و عدم محاولة تحديدها ،يجب استنزاف العاطفة إلى أقصى حد لتكون كالأمواج كلما طال المد كلما ألقت بمزيد من الصدف و مزيد من التنوع على رمل الشاطئ و حفرت مزيدا من الأشكال الجميلة على صخوره ،ثم تصل للحظة الذروة العاطفية فتتراجع الأمواج و تسكن ،ثم تعاود تقدمها حاملة المزيد إلى اليابسة ،انه بمثابة الشهيق و الزفير في التنفس ،انه تنفس الروح ،فكلما كان شهيقك و زفيرك أكثر عمقا و انتظاما كلما كانت صحة رئتيك و جسدك أفضل ،و كلما كان إطلاقك العنان لمشاعرك في شهيقها و زفيرها كلما زادت سعة روحك و صحتها ،و كما أن التنفس غير إرادي فتلاطم المشاعر غير إرادي ،لكنك بإرادتك يمكنك أن تطيل(ي) الشهيق و الزفير إلى حد معين لن تقوى(ين) بعده على إطالتهما ببلوغك الحد الأقصى من السعة و هذا يعد تمرينا للرئة يحسن الصحة ،كذلك المشاعر يجب إطلاقها إلى أقصى حد ثم التفريغ و الراحة ،و مهما ظننت أنك جامح(ة) فستصل المشاعر إلى نقطة حدية و عندها تعود(ين)عن هذه المشاعر بزفير الراحة ،و تنام(ين)كما تنام الطبيعة ،و كل هذا تحت السيطرة و دون الحد من الجموح لتبدأ نوبة جديدة بطاقة جديدة لشهيق و زفير جديدين...

رابعا: الوفاء

قد تكون(ين) اليوم في حاجة ماسة للمساعدة فتمتد لك يد لتساعدك و عندما تنظر(ين) في وجه صاحب اليد تتعرف(ين) عليه ، انه شخص ساعدته منذ زمن عندما كان بحاجة للمساعدة ،هذا الأمر يبعث الرضا في النفس الإنسانية و يدفعها إلى المزيد من فعل الخير و التعاضد مع المجموعة ،لتخفيف أعباء الحياة عن كاهل الفرد ،و هي من أرقى الأمور التي تدفع المجتمعات البشرية إلى الازدهار و التطور ،إنها كالخلايا التي تجتمع مع بعضها و تظهر للطبيعة كمتعضية معقدة ذات شأن تقوم كل خلية فيها بمهمة محددة في خدمة باقي الخلايا ،و تحصل بالمقابل

على كل احتياجاتها ،فهي إن كانت تقوم بالهضم و امتصاص الطعام فهناك من يقوم عنها بإحضار الطعام و أخرى تقوم بتجهيزه للامتصاص و أخرى تتخلص من الفضلات و غيرها تتولى مهمة الدفاع من الأجسام الأجنبية .

إن هذه الفضيلة الرائعة هي من نسق فضائل الطبيعة و قوانينها الأزلية ،فالحيوانات وفية للأرض التي عاشت عليها و أكلت من خيرها ،في الطبيعة أيضا تولد بعض الأنواع في أرض ثم تغادرها ،و لكنها تعود إليها لتضع صغارها فيها ،و الأنهار إن تبخرت مياهها بفعل الجفاف ،فانه و مع بداية المطر يتجمع الماء في ذلك المجرى ؛لأن النهر يظل لمجراه أمينا . في الاسطورة الرومانية التي تقول بأن أسدا جائعا لم يهاجم عبدا مصارعا في الكولوسيوم ؛لأن هذا الرجل قد أخرج شوكة من رجل الأسد في يوم ما و أراحه من ألمها !، الكلب قد يموت لأجل صاحبه وفاء لما قدمه له سابقا من رعاية و طعام ،الخيل تعود إلى بيت صاحبها إذا قتل أو مسه سوء ، أما الإنسان فقد صار الجحود جزءا من حياته فيغدر بمن أمنه و يحقد على من مد له يد العون ،و هذا يؤدي إلى تراجع رغبة الإنسان في مساعدة الآخرين ،و هذا بالطبع لا يحقق شرط الفضيلة في الارتقاء بالإنسان ، إن قلة الوفاء مشكلة تسببت للإنسان بثقب الأوزون و التصحر و غيرها ،فهو لم يكن وفيا للطبيعة التي احتضنته و أطعمته ،و ظن جاهلا أنه أقوى من أمه و أن القوانين و النواميس التي سطرها في كتبه بعد أن تجاهل القوانين الحقيقية للكون فغرق في شر أعماله و فقد سعادته و زاد لهاثه وراء أطماعه !

إن الفضائل و منها الوفاء ليست ترفا أخلاقيا بل إنها ضرورة مادية روحية حياتية ،و لهذا يجب أن نبحث في أنفسنا عن الحقيقة ؛لنحسن نوعية حياتنا .

خامسا: حس الفكاهة

عرف علماء البيولوجي الإنسان بأنه حيوان عاقل أو حيوان ضاحك ؛ لأن الضحك دليل العقل و يمكن من خلال ضحكة أو ابتسامة من شخص ما أن تعرف(ي) الكثير عن شخصيته و قدراته العقلية و الفكرية ، إن الأشخاص الذين يتمتعون بحس الفكاهة هم أشخاص أذكياء سريعو البديهة و متفائلون ، و مخاطر الحياة يلزمها ذكاء و سرعة في البديهة كما أنها بحاجة للتفاؤل ، و المتفائل ليس أعمى عن الحقيقية أو مستهترا بالواقع و لكنه يركز على الجانب الإيجابي و يجده حتى في المآسي ، وكما يقول المثل الروسي : المتفائل هو الذي يرى الصلبان فوق المقابر إشارات زائد ☺ .

أن حس الفكاهة ميزة رائعة يرتقي إلى رتبة الفضيلة فهو ينشر السعادة و أجواء الاسترخاء و الراحة بين الناس ، و له فوائد صحية عديدة بسبب الضحك الذي يولده ، كما أنه يخلص من التوتر الذي تسببه المشكلة و الذي يعيق بدوره رؤية كل جوانبها و بالتالي إيجاد الحل الصحيح لها . وعليه فإن حس الفكاهة يساهم في رقيّ الإنسان و تحقيق الفائدة له ، أن حس الفكاهة هو في الغالب أمر فطري و لكن يمكن اكتسابه و يمكن تطويره كأي شيء في هذا العالم بالتدريب ، و لو أنه بالمحاولة مع بعض الأشخاص سيكون غليظا و مزعجا نظرا لافتقادهم للسوية المطلوبة من الذكاء و سرعة البديهة ، لكنه سينجح أذا كان من حوله بنفس السوية الفكرية و بالتالي فإن الأشخاص القادرين على إضحاك أكبر عدد من الناس المختلفين في هذه السوية هم المتمتعون الحقيقيون بحس الفكاهة.

امتلاك حس الفكاهة مختلف تماما عن الفكاهة فإلقاء نكت أو قصص أو مسرحيات مضحكة هو كوميديا و لكن حس الفكاهة ارتجالي و يلتقطه الفرد من تفاصيل الحياة و المواقف المتحركة أمامه و يحولها إلى ابتسامات و ضحكات ، هذه دعوة للجميع للابتسام و الضحك حتى الدموع فما أحلى الحياة بدموع حلوة .

سادسا: الكرم

عندما تكون السماء كريمة بأمطارها يتطاول العشب و تزداد الأشجار نضارة و ثمارا ، إن الكرم يدفع المرء للعطاء دون انتظار مقابل لهذا العطاء ، و هذا بدوره يقدم للمرء السعادة و الرضا ناهيك عن المشاعر الإيجابية لدى متلقي هذا العطاء و ما يشيعه من روح المحبة.

إن الكرم ليس ذا شق مادي فقط بل ذو شق معنوي أيضا ، فمن الكرم أن تسامح(ي) شخصا أساء لك ، و أن تشارك(ي) شخصا ما همومه و أحزانه و أن تتحمل(ي) تبعات نصرتك لمظلوم .

إن الكرم في رأيي هو فضيلة انتقائية فلا يجب أن تكون عامة فليس كل الأشخاص و ليست كل الحالات تقتضي منك أن تكون(ي) كريما(ة) و هذه هي الحقيقة بعيدا عن التنظير ، كما أن كل إنسان يملك قدرات مادية و روحية محدودة و بالتالي لكل أولوياته في صرفها كيف؟ أين ؟ و على ماذا و من ؟ .

سابعا: العقلانية

هذه الفضيلة تساعد الإنسان على التطور الدائم ، و تؤمن له القدرة على توسيع الأفق و تغيير الأخطاء و السلبيات التي كان يعيشها ، فالإنسان العقلاني ليس لديه

مسلّمات ، بل إن كل مكتسباته الفكرية نتجت عن قناعات خضعت لمقاييس المنطق و التجربة ، و ما زالت قابلة للنقاش و البحث و الاختبار عندما يظهر فيها أي سوء أو نقص ، و هذا يجعل الإنسان قادرا على التواصل مع الآخرين على اختلاف مشاربهم و الإحاطة بتركيبتهم الإيديولوجية و النفسية و في حال أراد التواصل مع أشخاص غير عقلانيين تقودهم مسلماتهم و إيديولوجياتهم فإنه يستطيع امتلاك مهارات التواصل و التعامل معهم وفقاً لقواعدهم و قدرتهم على الفهم ضمن الإطار الصلب للمسلّمات و الذي يشوه شكل الإنسان و روحه على قياس قالبه المسبق الصنع ، إن العقلانية تحدد للإنسان متى يمكنه فعل ذلك و متى يجب عليه استفزاز مشاعرهم و محاولة تحطيم أقفال عقولهم و إدارة مولداتها المطفأة منذ خضعوا للأدلجة ، ومن العقلانية أيضا ألا تنتظر نتائج مبهرة !.

ربما يجعل هذا الطرح الإنسان برغماتيا و لكن هذا غير صحيح فالعقلانية تجعل منك قادرا على تحديد الاستراتيجيات و اعتماد تكتيكات للوصول قد تبدو بعيدة جدا عن الإستراتيجية المنشودة ،كما أن استخدام الأساليب المختلفة يختلف كثيرا بين المستويين الشخصي و العام ، فالأخلاقيات و عقلانية الطرح و التعامل تختلف جذريا بين أن تكون آلية تعامل شخصية مع الآخرين أو آلية تعامل عامة كممثل لأمة أو جماعة مع أمة أو جماعة أخرى .

ثامنا:الشجاعة

إنها الفضيلة البراقة التي تشعر المرء بالشموخ و العنفوان و تجذب الآخرين لأنها لمعة القوة التي تأسر قلوب الجميع إعجابا أو خوفا، الشجاعة تجعلك قادرا على تحويل الخوف إلى مواجهة ،إن الاندفاع نحو الأخطار الذي تولده الشجاعة و حتى لو لاقى معارضة الآخرين و استهجانهم يولد ريحا ترفع رأس الشجاع فيما تحني رؤوس المتخاذلين ،فيشعرون بعظمته و يتبعونه فطريا ؛لأن الشعوب بحاجة سيكولوجية دائمة إلى قائد و نبي و اله !!!

و على الرغم من التناقض الظاهر بين الشجاعة و العقلانية ،إلا أنه من الممكن عقلنة الشجاعة و تنمية القدرة على التوفيق بينهما بل تسخير إحداهما في خدمة الأخرى في الزمان و المكان المناسبين ،قد تكون(ين) في ميدان قتال و أمامك شخص مصاب على بعد أمتار و الوصول إليه قد يعني الموت ،الشجاعة و القوة الأخلاقية تقتضي سحبه و إسعافه و قد يبدو أن العقلانية تقتضي الانسحاب ،و لكن بتفكير بسيط يمكن أن نقتنع أن الخطوات التي سنسلكها للخلف قد لا تقل خطرا عن تلك الواجب سلوكها إلى الأمام ،و العقلانية تقول أن احتمال الموت متقارب و لكن في حال انسحابك و نجاتك قد تعيش(ين)عذابا نفسيا و احتقارا للذات ،و لكن

في حال إنقاذ المصاب و النجاة ستشعر(ين)بالرضا و الفخار ، هذا إذا اعتبرنا الموت شرا رغم أن العقلانية تقول أنه أمر لا بد منه عاجلا أم آجلا ،لذا فهو ليس أمرا مخيفا رغم المشاعر التي تعتري الإنسان نتيجة الخوف من المجهول .

الشجاعة أيضا لا تعني التهور و الحماقة كأن تقود(ي) سيارة بسرعة جنونية على طريق مزدحم ،بينما في مفصل أخر من حياتك لا تجرؤ(ين) على مناقشة مديرك في العمل بقرار تعسفي اتخذه بحقك ، و لكن من الشجاعة أن تواجه(ي) و تقاوم(ي) و تقاتل(ي) شخصا يريد إذلالك دون النظر إلى فارق القوة بينكما ، الشجاعة يجب أن تكون في كل مفاصل الحياة ،و هي درع النفس الكريمة التي لا تساوم على مقومات إنسانيتها .

ليس من الشجاعة أن تسحق الضعفاء ،أو تنكل بالمهزومين ،و لكن من الشجاعة أن تمنع الظلم و هدر إنسانية الآخرين ،حتى لو كان الظالم في صفك و المظلوم عدوك .

تاسعا: الطموح

إنها الفضيلة المتعبة ،الفضيلة التي قضت على كثير من الفاتحين و القادة ،و لكنها بالمقابل خلدتهم ،هذه الفضيلة هي قوة دافعة للمرء إلى الأمام تجعل من الإنسان كائنا دائم التطور و التجدد و تنقذه من الحياة الرتيبة الروتينية المملة ،على الرغم من أنها قد تسبب الكثير من القلق النفسي الناتج عن نهم المرء إلى المزيد ،و بقليل من جرعات العقلانية يمكن تجاوز هذه النوبات من الاضطراب العاطفي و التخطيط للمراحل القادمة بعد قراءة الإمكانيات المتوافرة و لجم الأحلام دون قتلها ،فإذا انتهت الأحلام انتهت الحياة ،و إذا كانت أحلامك واقعية و قابلة للتحقيق فهي ليست أحلاما و لن تفضي بك إلى مكان جيد .

كثير من الأشياء و الانجازات الرائعة من حولنا بدأت كأحلام في صدور أصحابها و عندما اعتلت صهوة الطموح و أمسكت بلجام العقل وصلت إلى أرض الواقع ،ربما تمر هذه الكلمات على الورق بسهولة و لكن خلقها في الواقع ليس بالأمر السهل ،و لكن النفس العظيمة لا تبحث عن المهام السهلة ،فالمهام الصعبة هي فقط التي تستحق عناء تنفيذها.

عاشرا: الجمال

انه هبة من الطبيعة يمكننا أن نحافظ عليها و نزيدها و يمكننا إهمالها و إتلافها ،أن تكون(ي) جميلا(ة) فهذا جزء من الفضيلة و أن تحافظ(ي) على جمالك فهذا هو الجزء الأخر و لا تكتمل هذه الفضيلة إلا عندما نخلق الجمال .

جمال الجسد يجب الحفاظ عليه و تطويره دائما و كذلك جمال الروح ،و كم من الضوء و الألوان مبعثرة على لوحة العالم الجميل ،و كم هو بائس هذا العالم دون هذا الجمال و دون هذه الألوان ،من الرائع أن يصنع الإنسان الجمال من حوله بقصيدة أو معزوفة أو لوحة أو رائحة ،كم من الراحة تتناثر في القلب عندما نرى شيئا جميلا أو نسمع شيئا جميلا ،كم من الرائع أن نخلق الجمال و ننقل الجمال بدلا من أن يحيط بنا القبح بلونه الكئيب و رائحته النتنة ،عندما تصير هذه الكلمات ثقافة اجتماعية سنعيش في عالم أفضل ،فلنبدأ بأنفسنا و لنخلق فيها ثقافة الجمال ،و يحضرني هنا قصة موسيقى سوناتا ضوء القمر لبيتهوفن

يقال أنه كان جالسا و قربه فتاة عمياء على ضفاف بحيرة هادئة وضوء القمر ينساب على صفحتها فيما تعانق الأشجار ضفافها ،و قد بعث هذا الجمال مشاعر جميلة في قلب الموسيقار و أراد للفتاة العمياء أن تشعر بهذا الجمال ،فنقل لها جمال الصورة التي لا تراها عبر الموسيقى ،فالمشاعر التي تتولد عند سماع هذه المقطوعة تشابه إلى حد بعيد الشعور المتولد عند الجلوس على هذه البحيرة في ضوء القمر .!

كم من لوحة و مقطوعة و قصيدة نقلت الناس إلى مشاهد و أيقظت لديهم مشاعر و راقصتها كم من شارع يمكن تنظيفه و زرعه بالورود ،كم من ماسة يمكن انتشالها من الوحل و صقلها،كم من الأشياء نستطيع فعلها في أنفسنا و بيوتنا و مدننا و مجتمعاتنا لنمنع عوامل القماءة من أكل الجمال ،و لنخلق من أشياء لا شكل لها جمالا !

كم نحب الجمال و كم نحن مهملون في صناعته و الحفاظ عليه،إنها دعوة ليصير الجمال ثقافة لا يحدها و لا يمنعها شيء من التقاليد البالية و الكتب الصفراء .

المبدأ الخامس: الجنس

(ج،ن،س،ثلاثة حروف ،أنثى ،ذكر ،حياة،ثلاثة مكونات ، الجنس هو إبداع التطور في حياة واعية لاستمرارية بعيدة عن الملل)

انه سبب الوجود و منطلق الحياة ،فبفضله يبدأ تكويننا و نقذف في هذه الحياة ،و هو غاية حياتنا فبفضله ننقل جيناتنا و نخلد شيفراتنا على مر العصور ، لقد فهمت الشعوب القديمة المتحضرة أهمية الجنس و تأثيره المباشر على نوعية حياتنا و فهموا أبعاده العظيمة و أتقنوا فنونه فقدسوه و أقاموا له طقوسا ،فهاهم الفينيقيون السوريون وشعوب الانكا و المايا يطلقون على النساء اللواتي يقدمن الخدمات الجنسية في المعابد الدينية لقب القديسات ،و كان السوريون القدماء يعتقدون أن كثرة ممارسة الحب تحرض العلاقة بين السماء و الأرض ،فكلما روى الرجال نساءهم فأثمرن أطفالا كلما روت السماء أرضهم فأنبتت طعاما ،وكان اسم اله المطر و الخصب لديهم بعل ،و ما زال السوريون حتى اليوم يسمون الأرض المروية من السماء بالأرض البعل و يسمون زوج السيدة بعلها ،في نفس الوقت كان أسياد المايا في أميركا اللاتينية يتبرعون بالدماء من أعضائهم التناسلية لأجل شعبهم ولتستجيب السماء لقرابينهم فتهطل الأمطار و يتحقق للشعب قوته .

في بابل كانوا يسمون طقوس الجماع بطقوس الجنس المقدس ،لم يكن أهل سوريا المتحضرين ليخفضوا قيمة الأنثى عن قيمة الذكر ،فكان الأب الإله و الأم الإلهة ،و لم يكن الجنس مسموحا إلا برغبة الطرفين ،و الرجال الذين كانوا يقومون بالاغتصاب كانت تعاقبهم على شرورهم آلهة أنثى كانت تسمى ديانا ،و ما زال الجذر مشابها للعربية الحديثة حيث ديانا من الدين و معناها موفية الديون .

في الهند يطل علينا مبنى مهيب أشبه بالأبراج الحديثة و على محيطه و بكامل ارتفاعه تماثيل لرجال و نساء يمارسون الجنس بوضعيات مختلفة ،و قد أتحفوا البشرية بكتاب كاماسوترا و هو كتاب يدرس العلاقة بين الأنثى و الذكر و يوضح الحقيقة القائلة أن المضاجعة جزء يسير من الجنس ،ويشرح آليات التواصل و فهم الاختلاف بين الجنسين للتوصل إلى قدرة التفاهم و الرقي بالتواصل الروحي و الجسدي في آن معا على الرغم من انه يركز بشكل اكبر بكثير على العلاقة الجسدية و فنونها، وقد ترجم هذا الكتاب إلى معظم لغات العالم .

الجنس بحر مترامي الأطراف و إن لم تعرف(ي)سفينتك لن تقودك إلى الشاطئ،و إن لم تعرف(ي)شريكك لن تحصد(ي) الكنوز ،يجب على الرجل أن يعامل المرأة كانسان و أن يفهمها كأنثى ،و يجب على المرأة أن تعامل الرجل كانسان و أن

تفهمه كذكر ،عندما تنبت الغرسة تحتاج إلى الرعاية و كلما كانت الرعاية نوعية كلما اخضرت أوراقها و كثرت ثمراتها.

لقد أولى عالم النفس العظيم سيجموند فرويد الجنس نصيب الأسد ؛لأنه عرف حقيقة أنه يتحكم في حياتنا و تصرفاتنا و يبني أو يهدم شخصياتنا ،يدفعنا إلى كتابة الشعر و عزف الموسيقى ،إلى بناء القصور و حياكة الثياب ،يدفعنا إلى الحرب و الموت ،يتحكم في أنفاسنا و دقات قلوبنا سواء علمنا ذلك أم لم نعلم أقررنا بذلك أم لم نقر.

وسأشرح للسيدات قليلا عن الرجال و للسادة قليلا عن النساء و أدعي أن ذلك سيكون مفيدا.

أولا: تعرفن على الرجال

كان يراودني سؤال قديم يقول :لماذا تسمى السيدات اللواتي يتعدد شركاؤهم الجنسيون بالعاهرات و ترمقهم العيون و تقذفهم الألسن بكل الموبقات ،بينما يسمى الرجل الذي تتعدد شريكاته بزير النساء بكل ما تحمله له من تربيت على الكتف و حسد و ربما إعجاب ،و أعتقد أنني وجدت جوابا قد يكون فيه الكثير من الحقيقة ،و الجواب في الفيزيولوجيا التي خلقتها الطبيعة !

يقذف الرجل ملايين الحيوانات المنوية و يستطيع أن يفعل ذلك عشرات المرات في الوقت الذي تحتاجه الأنثى لدورة واحدة تنتج بويضة واحدة ،فيستطيع الرجل خلال عام أن يلقح مئات النساء و تحمل كل واحدة منهن بطفله الذي سيحمل جيناته و شيفرته الوراثية ،بينما لا تستطيع الأنثى أن تنجب أكثر من طفل واحد و أن تنشر جيناتها و شيفرتها الوراثية لمرة واحدة حتى لو كان لها ألف شريك ،و هذا يفسر أن الرجال يرغبون في التعددية سواء عرفوا ذلك أم لم يعرفوا ،أقروا بذلك أم لم يقروا،و هذه حقيقة عليك أن تعرفيها ،ثم أن تتعلمي كيفية استيعابها و تحويلها لصالحك كأنثى وحيدة في حياة الذكر الذي اخترت.

من ناحية أخرى فان المرأة ترغب بشريك واحد توليه كل حبها و رعايتها ،و هذا موجود في لا وعيها حتى لو كان له عدة شركاء ،فهي لن تهدأ نفسيا و لن تستقر عاطفيا حتى تجد هذا الشريك حتى لو كانت علاقاتها توفر لها المسكنات الجسدية أو الروحية .

إن القدماء المتحضرين أدركوا هذه الحقيقة وأدركوا أن الجنس المأجور و لا أسميه العهر هو أقدم المهن ،و أدركوا أنه مع كل ما تحققه هذه العلاقة من ارتياح

جسدي فإنها تبقي على اضطراب نفسي فوجدوا الحل ،جعلوا ممارسة هذه الطقوس في المعابد و جعلوها طقوسا مقدسة ،لم يحتقروا من يمارسن هذا العمل بل بتحضرهم فهموا أنها تضحي بحلمها في الرجل الوحيد الذي تحتاج لرعايته و تحتاج لتوليه حبها و اهتمامها ،فقدروا تضحيتها و سموها القديسة ،لتحقق بذلك الاستقرار الروحي في حضرة الآلهة و بفكرة القيام بعمل كريم و مضح بالخصوصية ،فتحقق بذلك الإشباع الجسدي و النفسي و تلقى الاحترام الاجتماعي!!!.

شيء أخر يجب أن تعرفيه عن الرجال ،من هي المرأة التي تجذبهم و ما هي احتياجاتهم و متطلباتهم ؟ و بعدها سنعرف بعض الأسرار للتعامل مع هذه الحقائق.

إن أول و أهم ما يلفت انتباه الرجال هو شعاع الأنوثة ،الجمال كل أنواع الجمال و أولها و مفتاحها الجمال المادي ثم يأتي الجمال الروحي و الفكري كخطوة ثانية و يضمن علاقة طويلة الأمد و سعيدة ،و يجب الانتباه هنا إلى أن الرجل يبحث دائما عن الأنثى الأضعف منه بأي شيء ماديا،فكريا،نفسيا،فهو الصياد الذي يجلب الفريسة إلى الكهف و يطعم الأنثى و هو الذي يدافع عنها من وحوش الغابة ،و نظرا للفترة الزمنية الطويلة التي عاش فيها الإنسان هذه الحياة و التي رافقت تطور دماغه و قدراته العقلية فان هذه الخصال ما تزال محفوظة و مؤثرة في كل قرارات حياته .

الرجال بحاجة إلى من يعتني بهم ،بحاجة للأم و هم صغار وللصاحبة وهم كبار ،بحاجة لمن يقلم أظافرهم و يمشط شعرهم ،فالرجال أولاد كبار ،ولا أروع في التعبير عن هذا من قصة أنكيدو و صاحبته البابلية التي أخرجته من الغابة و علمته كيف يأكل الطعام بيديه و يشرب الشراب في كؤوس و يرتدي الثياب المخاطة كالآلهة ،و هي محاكاة رمزية لتطور الإنسان و محورية دور الأنثى فيه و هي لا تقارن بقصة آدم و حواء التي تحمل الأنثى تبعات الخطايا و لا تقول بتطور الإنسان إلى حياة أفضل بل بانحداره من حياة أفضل ! و لكن الحقيقة التي يخيّل لي على الأقل أنها الحقيقة هي أن الأنثى أسهمت في تطور الذكر و تحضره و ليس في عذاباته على الأرض .

يعيب الظلاميون على الأنثى عاطفتها المتطورة ،و لا تدرك عقولهم المتحجرة أن العاطفة ساهمت في تطورنا،فعندما بدأ الإنسان بالعيش في مجموعات نشأت العاطفة بين أفرادها ،و أثناء مطاردة الفرائس يمكن لأحدهم أن يكسر ساقه ،في حالة قطعان الحيوانات فانه يكون الأضعف و عندما يتعرض القطيع للخطر يهرب

الجميع و يتخلف عنهم هذا الفرد الضعيف فيصبح ضحية سهلة ،و لا يظهر القطيع أي تعاطف معه فلا يمكن العيش طويلا بساق مكسورة في الغابة الخطرة ،و قد وجد علماء الانتروبيولوجيا عظمة ساق متحجرة لإنسان كسرت ساقه و عاش بعدها فترة طويلة نسبيا و التحم العظم و هذا يعني أن أفراد المجموعة اعتنوا به ،و بفضل هذه العاطفة ظهر الإنسان أو بالأحرى بدأ يتأنسن ،بفضل العاطفة التي تمتلك الأنثى منها الجزء الأكبر.

يبدو أنني بدأت أسترسل في تعريفك بنفسك و ليس بالرجل و لكن هذا مهم أيضا لتعرفي غيرك عليك أن تعرفي نفسك ، نقول أن هذا الجهاز أكثر تطورا من سابقه لأنه قادر على أداء مهام أكثر في وقت واحد،و قد أثبت العلم أن عقل الأنثى عنكبوتي تشعبي ،أي أن بإمكانها القيام بعدة أمور في آن واحد بينما لا يمكن للرجل القيام بأكثر من عمل واحد في نفس الوقت و إلا سيتشتت و يفشل في أعماله ،و هذا أيضا موروث من حياة الكهف حيث كان الرجل الصياد يركز اهتمامه على الفريسة التي يتتبعها ولا يهمه شيء غيرها لأنه إن فشل في صيدها سيجوع هو و عائلته ،بينما كانت الأنثى في الكهف توقد النار و تعتني بالأطفال و تراقب الأخطار المحتملة في آن واحد .

فضل أخر للأنثى ساهم في تطور الإنسان ،في الطبيعة يتقاتل ذكور الحيوانات على الإناث و الذكر الأقوى يحصل على كل الإناث و ينشر جيناته يمنة و يسارا بينما يموت بقية الذكور دون أن يتركوا جيناتهم ،و هذه من قوانين الطبيعة حيث تكون جينات الأقوى أفضل لتحسين النوع ،فكما ذكرنا سابقا بأن الطبيعة لا تبقي ولا تحترم إلا الأقوياء ، إن أنثى الإنسان بقبولها بالرجل الأقل قوة و الضعيف سمحت لكل الذكور بنشر جيناتهم و تحقيق خلودهم و بالتالي الفضل يعود لها في أن لا ينقرض هؤلاء الذكور الضعفاء كذكور بقية الحيوانات.

إن هذا يدعم نوعا ما وجهة نظري ،و لكن الأنثى عانت قرونا من التهميش و التحطيم الممنهج حتى وصلنا إلى يوم نرى فيه إيمان المرأة بقدراتها ضحلا جدا ،بل و تجد بعض النساء في تحقيرهن تكريما بعد أن تمت أدلجتهن لقرون !!!

قال أحد الفلاسفة:يلاحق الرجل في النساء اللواتي يعرفهن ظل المرأة الوحيدة التي يريدها ،فماذا عليك أن تفعلي لتكوني هذه المرأة بناء على الحقائق التي ذكرناها آنفا؟

بداية عليك أن تلفتي نظر الرجل و بالتالي عليك أن تكوني جميلة ،حافظي على الجمال الذي منحته لك الطبيعة و زيدي دائما من هذا الجمال ،و ابدئي بالجمال

المادي و لتحقيقه عليك أن تمتلكي ثقافة الجسد ،عليك أن تحبي جسدك فهو ليس عورة بل امتياز ،و أنت كائن مساو للرجل و لست دونا،عاطفتك ليست نقطة ضعف و عقلك ليس قاصرا و ذاكرتك ليست ضعيفة ،عليك أن تثقي بنفسك و تعززي الثقة بالمعرفة و المعرفة بالتدريب و العناية بالجسد،و هذا ليس بالأمر السهل أبدا ،و على كل إنسان العناية بجسده و خصوصا الأنثى و قد قال الحكيم الصيني لاو تسو واضع فلسفة التاو: (إن الشخص الذي يمكنه الاعتناء بجسده يمكن أن توكل له مهمة إدارة الدولة) ،إذاً عليك أن تعرفي أن هذا الأمر ليس سهلا و من المعرفة يبدأ العمل ،و عليك أن تحبي هذا و تتصالحي معه ،فلا يسبب لك تعبا و مللا يمنعك من مواصلة العناية بالجسد حتى أخر لحظة في حياتك ،و هذا ما قصدت به ثقافة الجسد و ليس مجرد العناية بالجسد .

يجب أن تهتمي بالرياضة للمحافظة على شكل أنثوي للجسد ،مشدود منتصب يضج بالحيوية ،بغض النظر عن العمر و الحمل و الولادات ،و ستجنين فوائد صحية و نفسية جمة ،العناية تبدأ من شعر الرأس و حتى أصابع القدمين دون إغفال أي شيء ،وتذكري أن للرجل ذاكرة حديدية عندما يرى شيئا قبيحا فسيذكره طويلا و سيؤثر ذلك على نوعية علاقته بك ،يجب أن تفوح منك الرائحة العطرة دوما و في أية نقطة من جسدك ،وقد أصابت أمامة بنت الحارث عندما قالت لابنتها ليلة زفافها :فلا تقع عينه منك على قبيح و لا يشم منك إلا أطيب ريح .

و بالحديث عن الجمال المعنوي ،عليك أن تتحلي باللطف و الدماثة و أن تتصرفي على طبيعتك كما أنت دون تصنع أو كذب ،و عليك أن تطوري قدراتك الفكرية و المعرفية و أن تتعلمي كيف تصغين للشريك و تناقشيه بهدوء و روية و تطرحي وجهات نظرك و تدافعي عنها دون تعنت ،فإذا خسرت بالمنطق اعترفي بخسارتك و أبدي رضاك و إعجابك لترضي غرور الذكر ،و إذا كنت الأقوى فاربحي النقاش و لكن لا تربحيه دائما ،فكما قلنا الرجل لا يحب المرأة التي تتفوق عليه ،و افعلي كل شيء بفيض من الحب و سترين كيف سيرتد هذا عليك بالدرجة الأولى ،و سيغمرك بالسعادة و الرضا .

بعد أن حققت جمالك فقد جذبت الرجل و ما عليك بعدها إلا أن تكوني أنثاه الوحيدة ،و ذلك بأن تكوني كل النساء في واحدة واعلمي أنه إذا نقصتك إحداهن فان شريكك سيبحث عنها في حضن امرأة أخرى ،قد لا يفعل إذا لم تتوافر له الظروف المناسبة و بإمكانك التركيز على عدم توافر هذه الظروف ،و لكن هذا ليس ناجعا أو دائما و سيؤثر سلبا على العلاقة ،لذا عليك أن تكوني الأم و الحبيبة ،الأخت و

الصديقة ،الزوجة و العاهرة ،و عليك أن تتعلمي متى و أين تتقمصي كل واحدة منهن .

لتكوني الأم و الأخت و أنت تهتمين به بطعامه و شرابه ونومه و ثيابه و مرضه و أحلامه،لتكوني الحبيبة و أنت تلهمينه و تبقينه متعطشا لرؤيتك و عناقك إن غاب عنك لساعات لأنك ستحولين منزله قطعة من الجنة وملاذا آمنا من كل مشاكل الحياة ،لتكوني الصديقة و أنت تشاطرينه همومه و تساعدينه في إيجاد الحلول و تناقشينه في شتى المواضيع الخاصة و العامة ،كوني الزوجة و أنت تفكرين معه ببناء البيت و مستقبل الأولاد ورسم صورة لكما تمسكان بيدي بعضكما بمحبة لا تنضب و أنتما في التسعين من العمر ليقرر أن يشيخ معك و يرى الجمال عبر تجاعيدك ، لتكوني العاهرة التي تشبع غرائزه و تبعث رغبته و توقظ شهوته و لو كان عائدا من تكسير الصخور ،العبي أدوارا مختلفة لتحققي له في لا وعيه رغبته في التعدد و التنوع ،مارسي بعض الخدع ،غيري في شكلك بين الفينة و الأخرى و لفترات قصيرة حتى لا ينسى شكلك الأصلي الذي أحبه و الذي يظل مرتبطا به .

اعرفي جسد الرجل و أحبيه و ستحصدين الثمار ،فأداؤك الجيد يحسن من أدائه و شهوانيتك تشعله و رقتك تسحره ،عاملي باقي الرجال بدون اهتمام مكتفية بالحد الأدنى من آداب التواصل و المجاملة دون أدنى مبالغة قد يشعرها اهتماما ،ليشعر معك أنه الرجل الوحيد في هذا العالم ...

ثانيا: تعرفوا على النساء

النساء تماما كالورود ،و هن بحاجة لعناية فائقة و مستمرة ،و يزداد تألق وردتك و نضارتها بالقدر الذي تعتني فيه بها ،ولكن عليك أولا اختيار الوردة التي تناسبك فتنوع الورود هائل جدا ،و مهما اعتنيت بوردة لا تروقك و لا تناسبك فلن تحقق الرضا ،بعضهن يمتلكن أشواكا إن أمسكتها بقسوة أدمت يديك ،و لكل واحدة منهن رائحتها المميزة و درجة عبيرها الخاصة ،و لكنهن جميعا بحاجة لعناصر واحدة كما تحتاج الورود للشمس و الماء و الهواء .

عليك أن تعرف أن كل امرأة قصيدة مختلفة عن الأخرى،فلا قواعد تجمعهن و التعامل معهن بمعنى فهمهن و فهم ما يردن وكيف يفكرن ستبدو صعبة للغاية ،و لكنها تصبح أكثر سهولة بعد أن تتعلم الأبجدية التي كتبن بها ،فكلهن كتبن بنفس الأبجدية ،و بعد أن تتعلمها يتبقى لمهارتك و إحساسك الحكم الفيصل في قدرتك على قراءة أكبر عدد من القصائد و الإحساس بها .

ما الذي يعجب المرأة بالرجل و يلفت انتباهها إليه ؟ الجواب بكلمة واحدة هو القوة ! فكما تختار الطبيعة لإناث الحيوانات الذكر الأقوى ،تختار إناث البشر بالغريزة الذكر الأقوى ،و حتى لو كن على علاقة مع رجل ضعيف و لم يحالفهن الحظ و كبلتهن التقاليد أو ضعف قدراتهن الأنثوية ،فإنهن يرغبن بالذكر القوي.

إن مفهوم القوة عندهن و عند البشر عموما واسع جدا ولا يعني القوة المادية أو الجسدية فقط ،و خيارهن أو رغبتهن بنوع القوة التي تجذبهن إلى الرجل يختلف من أنثى إلى أخرى تبعا لشخصيتها و موروثها و ما أدلجها عليه المجتمع ،فترى كثيرا من النساء ينجذبن إلى الرجل المفتول العضلات الطويل القامة (قوة فيزيائية)،و غيرهن إلى الرجل الوسيم(قوة الجمال)،و أخريات إلى الرجل الثري (قوة مادية)،و غيرهن إلى الشاعر أو الدمث اللطيف (قوة الكلمة)،بعض النساء ينجذبن إلى الرجل المتحدث المفكر العالم (قوة العقل)،و أخريات إلى الرجل الخلوق المبدئي(قوة الأخلاق) .

و بالتالي عليك أن تبني لنفسك ما تستطيع من وسائل القوة لتكون أكثر جاذبية للنساء ،و لكن الأهم من عامل الجاذبية المرتبط بالقوة و الشيء الأكثر ديمومة هو أن تفهم ما تريده النساء ،و كيف تجعل من الفتاة التي تريدها قطعة سكر تذيبها في فنجان روحك .

فما الذي تريده النساء ؟

1-المرأة تحتاج إلى الرجل الذي يهتم بها و يلاحظها دائما و هذا يزيدها نضارة و قدرة على العطاء ،فبداخل كل امرأة جارية متعطشة لسيد تقوم على خدمته و تلبية رغباته ،و لكن هذه الجارية لا يوقظها إلا عبد يشعرها بأنها الأنثى الوحيدة في هذا العالم ،و يشبع نهمها الفطري إلى التميز و التفرد الذي يحميها من منافسة الأخريات ،لهذا عليك أن تهتم بكل ما تحبه و يتعلق بها ،بل أن تكون شغوفا به ،عليك أن تهتم بأفكارها و أحلامها ،بكل ما يسعدها وأن تلاحظ التغير في تسريحتها و عطرها و كل تفاصيل جسدها،عليك أن تلاحظ إن زادت أو نقصت هذا المساء تلك النجوم المبعثرة في عينيها ،أن تسمعها و تحادثها،أن تعاونها على تجاوز مشاكلها وأن تمسح كل همومها .

2-المرأة بحاجة ماسة للأمان و عليك أن تجعلها تشعر به ،و هذا يتطلب منك العمل بكل قدراتك لاكتساب أسباب القوة الأخلاقية أولا ثم المادية ؛لتجعلها تلقي رأسها الصغير كل مساء على كتفك فتشعر أنها طفلة مدللة ليس لديها أية هموم أو مشاكل فأنت كفيل بكل شيء ،فتسحب ذراعك لتلف به جسدها و تنام بفيض

من المشاعر المتلاطمة اللطيفة ،عليك أن تكون صادقا معها واضحا لا تترك أسئلة بدون إجابات ،وفيا لها فلا تخذلها بعد أن اخترتها بنفسك من بين الورود و صارت لك جارية سعيدة بعبوديتها تجاوبت مع متطلباتك و تجاوبت مع متطلباتها ،كن وفيا لها و تخلى عن جشعك و عقدك الذكورية و اجعلها تشعر بأنها تستند إلى حائط صخري صلب لا تخاف بجواره من المستقبل و تقلبات الزمان ،لا تخاف إن مرضت لأنك ستبقى معها و إن شاخت فستشيخ بجوارك .

3-الكلمة ففي البدء كانت الكلمة كما نقل عن يسوع ،و المرأة تعشق من أذنها و هي أكثر إحساسا و تأثرا بالكلمة رغم أن الإنسان عموما يتأثر بها ،تحتاج الأنثى إلى الكلمة و إلى الطريقة التي تقول بها الكلمة ،فاحرص على أن تكون كلماتك صادقة حتى لو بدت غير مرضية ،فما يخرج من القلب يصب في القلب ، الأنثى بحاجة إلى كلمات الإطراء و الإعجاب بما منحته لها الطبيعة وبما اكتسبته هي لنفسها ،بحاجة لتقدر جهودها و تعبها المضني لترضي ذكورتك المتطلبة.

4-الجنس النوعي: تحتاج المرأة إلى جسدك كما تحتاج إلى روحك ،و لكن الفرق بين الجنسين أن المفتاح عندهن الروح و عندنا الجسد ،و تختلف طريقة الرجل و المرأة في الوصول إلى الذروة ،و رغم أن الرجال يبدون أكثر هيجانا و تبعية للجنس إلا أنهم سرعان ما يخمدون بينما تبدو الأنثى هادئة و غير مهتمة ؛لأن عتبة إثارتها أعلى ولكن استمراريتها أكبر و أكثر تطلبا ،و من المثبت أن المرأة تتعلق بفزيولوجيتها أكثر من الرجل بأضعاف ،و بالتالي فهي بحاجة لجنس نوعي و ليست بحاجة أبدا إلى مجرد جنس ،فهي حينها ستقوم به من باب الواجب فقط .

عليك أن تجيد لمس روحها عندما تلمس جسدها ،و عندها ستملكها تماما و ستعوضك عن جشعك في امتلاك كل نساء الأرض ، عليك أن تحسن لياقتك البدنية و تمارس الرياضة و تعتني بنظافة جسدك و رائحته و تقوي ثقافتك الجنسية حتى تكون جديرا بأنثاك ،و حتى لا يعيقها شيء عن حبك و افتراسك ...

ثالثا: العلاقة الزوجية

بما أنها علاقة زوجية إذا فغايتها الاستمرارية ،و هي ليست علاقة عابرة ،إن الزواج هدفه الاستقرار فان لم يتحقق هذا الاستقرار فلا بد من الانفصال بغض النظر عن رأي المجتمع أو حتى وجود الأطفال ،فالمجتمعات لا رأي لها و إنما هي تتبع من أدلجها ،و الأطفال الذين لا يعيشون في جو الأسرة أفضل من الذين

يعيشون في جو يفتقر إلى الحب و الهدوء الذي يجب أن يكون سائدا في الأسرة ،و الانفصال لا يعني عدم العناية بهم ،و لكن البقاء في العلاقة الفاشلة حتما سيعني عدم الاهتمام بهم .

منزل الزوجية قطعة من الجنة تلقى عند بابه كل المشاعر السلبية ،و يدخل المرء لينعم بكل المشاعر الايجابية ، المشاكل الخارجية تناقش في المنزل بعد أن ترمى المشاعر المتعلقة بها في الخارج ولا تسكن هذه المشاعر السلبية في المنزل حتى و لو ظهرت لبرهة في نقاش المشكلة ،إن جو المنزل الماطر بالمحبة و الثقة و التفاهم سيغسل كل الأحزان و الهموم و سينبت العشب دائما في قلوب ساكنيه ، نرى في الواقع أن هذا الأمر نادر و قليل الحدوث و قليل الاستمرارية ،و ذلك لأن الزوجين لم يعدا ولم يثقفا لقيادة الأسرة و هذا من أسباب الانحطاط الفكري و الأخلاقي الذي تعاني منه البشرية اليوم ،و من المضحك المبكي أن نطلب رخصة لقيادة السيارة و لا نطلب رخصة لقيادة الأسرة .

في كوخ الزوجية يجب على الرجل أن يهتم بزوجته كما شرحنا سابقا ،و عليها أن تفعل الشيء عينه ،و عليهما أن يهتما معا بالأطفال وأن يولوهم الوقت اللازم و الكافي ،و هذه ال يجب ليست واجبا ولا إلزاما و يجب عدم النظر إليها أو فهمها هكذا ،لأنها عندها ستشكل عبئا ،فهي تقوم بدافع الرغبة و المحبة حيث يشعر من يقوم بها بالسعادة لممارستها.

يجب أن تبنى الحياة الزوجية على التفاهم و الصدق فلا يجب إخفاء شيء عن الشريك مهما كان صغيرا وعلى كل منهما أن يشرح رأيه من كل حدث و موقف ،لنعترف بخطايانا و لنسامح ما استطعنا ،و لكن الكذب يهدم الثقة ولا يمكن المسامحة عليه ،لأن الثقة عمود المنزل السعيد .

يجب على كل من الزوجين أن يصارح الأخر بكل ما لا يعجبه في شريكه و تصرفاته ،و أن يشرح سبب عدم إعجابه و أن يقدم المقترحات لتجاوزها ،و لا بأس من مدح الايجابيات لتدفع الأخر إلى التجاوب معك ،و لتربح الحجة الأقوى بحيث يقتنع الأخر و يؤمن بها لا أن يخسر معركة إثبات رأيه فالعلاقة الزوجية تكاملية و ليست ندية ، الشعور بالندية بين الزوجين يجب أن يكون ميتا لأنه قاتل الزواج السعيد ،ليس لأحدهم منة على الأخر في شيء و لا يجب أن يشعر أحدهما بهذا ؛لأن ذلك يقوض الحب .

حين تحصل المشاحنات فيجب أن تسوى فورا ،بحيث لا ينامان إلا و قد انتهت و يتوجب على المخطئ أن يعترف بخطئه و يعتذر كما يجب أن يكونا صادقين

لتشخيص أسباب الشجار ووضع الحلول لها حتى لا يتكرر مستقبلا ،لأن تكراره يعني بداية تحول المنزل من الجنة إلى الجحيم .

الجنس أمر هام جدا في الحياة الزوجية فهو التعبير المادي عن الحب ،و هو المقوي لكل الروابط بين الزوجين ،و الجنس لا يعني فقط المضاجعة كما ذكرت سابقا ،فهو يبدأ بالاهتمام و أجواء المحبة التي تهيأ للعلاقة الجسدية ،تلك العلاقة التي ليس لها توقيت و لا مكان ،و بقدر ما يمارس الزوجان الجنس و بقدر ما يصلان إلى الذروة ،بقدر ما يعرقان و يتعبان و يستحمان و بقدر ما يتعانقان و يتبادلان القبل ،بقدر ما تصغر المسافة بينهما في غرفة الجلوس بقدر ما تكون حياتهما الزوجية سعيدة .

إن التعبير اليوناني الرمزي عن الرجل بهرم قاعدته للأعلى و رأسه للأسفل فيما الأنثى يعبر عنها بهرم قاعدته للأسفل و رأسه للأعلى تساعد على فهم الإحساس الجنسي عند الجنسين ،فالرجل يبدأ بإثارة كبيرة كقاعدة الهرم ثم تنقص تدريجيا بينما الأنثى تبدأ بالرأس ثم تتوسع إلى القاعدة و على كل منهما فهم حاجات الأخر و فيزيولوجيته ليحقق التناغم الأسمى ،عليهما أن يكونا كثيري الاختبار صريحين مع بعضهما في الحوار الجنسي ،و سيكتشفان كل يوم شيئا جديدا، و سيسحقان الروتين و النمطية، و يحافظان على التجدد المطلوب لدوام الشباب في العلاقة .

رابعا : الإشكالية الجنسية

الجنس احد العناصر الثلاثة للثالوث المحرم (الدين ،الجنس ، السياسة) و هو سوط يستخدمه العنصران الشريران الآخران لجلد ظهور الناس و تقويض طبيعتهم الإنسانية ،يتحالفان أحيانا و يتصارعان حينا،و كلاهما يحاول قولبتنا و صياغة عقولنا و أرواحنا بما تتطلبه مصالحهم الجشعة في احتكار الحقيقة و الأخلاق و الموارد !

لا أريد هنا أن أجري محاكمات و تقييمات و لكني أدعو إلى الملاحظة و التفكير ،لاحظوا الحياة العسكرية ،جميع الجنود يرتدون نفس الثياب ،يرددون نفس الشعارات ،ليس هناك تمايز أو شخصية مستقلة فأنت خلف هذه البدلة جندي كالآخرين مهما تباينت قدراتكم الفكرية و الروحية ،و لنلاحظ و نتساءل : لماذا حاول الكهنة أو كما يسميهم نيتشه (ديوك الله الرومية) ☺ أن يتحكموا بأجسادنا ،فهي ملك شرائعهم ،نصرفها متى شاءوا و كيفما شاءوا ،لماذا حرصوا أن يلبسونا ثياب موحدة كالجيش على الرغم من أن الثياب تعبر عن شخصيتك الخاصة ،لماذا يريدوننا متشابهين مقولبين ؟نفكر بنفس الطريقة و نلبس نفس

الثياب ؟ لماذا ألبس ماو تسي تونغ الصينيين نفس البدلة ؟لماذا كان الحب مسموحا في الاتحاد السوفييتي و الجنس ممنوعا ؟لماذا تظهر كل النساء باللون الأسود في المملكة الوهابية القذرة ؟ لماذا يصدر الغرب لمواطنيه و للعالم أفلام و إعلانات البورنا ؟لماذا يصر الجميع على بناء إنسان البعد الواحد ؟!!

إذا كنا نتمايز عن الحيوانات بعقولنا فلماذا يريدون مصادرتها ؟ ببساطة ليمتطونا ! كم نحن بحاجة لأطباء نفسيين في هذا العالم المريض لمعالجة عقدنا الجنسية في الشرق و الغرب على حد سواء ،رغم أن عقد الشرق تبدو أكثر قسوة ، أليس من العار أن ندعي الحضارة و الإنسانية و نحن نقيم إنسانة بغشاء بكارتها بغض النظر عما في روحها و عقلها من معارف و أحلام و أخلاق !! أليس من العار و نحن ندعي الوصول إلى درجة غير مسبوقة من التمدن في تاريخ البشرية أن نروج للجنس الشاذ مع الدمى و الأموات و السفاح الجماعي ؟ و أن نرى أما عزباء في العاشرة من عمرها ؟!!!

أليس جليا أن أحدا ما يريد و يعمل بمنهجية ليحطموا فطرتنا و يسحقوا كل خبرات البشرية في هذا المجال و إيجادها لحلول جيدة بإمكاننا تطويرها بدلا من هدمها في سبيل السيطرة على الناس ؟!!

إن الحيوانات تمارس الجنس في أوقات محددة ،أما نحن فقادرون على ممارسته في كل الأوقات ،و عبر التاريخ حاول الإنسان وضع ضوابط للتنظيم ،و لكنها تحولت للسيطرة ،إنني أرفض الكبت الجنسي تماما كما أرفض الانحلال الجنسي من منطلق أن كليهما يسبب عقدا و أزمات نفسية ظاهرة و باطنة ،و بالتالي علينا فهم أنفسنا و احترام إنسانيتنا فالإنسان يقيم بما يعرف و بما يمتلك من خصال حميدة و ليس بما يرتدي من قماش .

ما يتوجب علينا هو أن لا نخاف من هذا البعبع و ألا نفتح فجأة صماما لشيء مضغوط منذ عصور ،بل أن نحرر عقولنا و نفكر و أن نشاهد الآخرين ممن حولنا و ممن عاشوا قبلنا ،و أن نلاحظ الطبيعة ،و نترك للأجيال القادمة التي نعلمها كيف تفكر أن تجد خياراتها بعد أن تدرس تجاربنا و تجارب الآخرين و تستخلص الدروس وتجرب في مختبرات الحياة،، علينا ألا نقدس أخلاقاً معلبة متوارثة أو إعلانات موجهة مؤدلجة ،فلا وصاية على العقل و هو صانع الأخلاق ،و هي بدونه سراب و زيف ...

المبدأ السادس : بناء الإنسان

(من السهل إنجاب طفل ،لكن من الصعب بناء إنسان)

إن بناء الإنسان يتطلب جهدا مشتركا من الأسرة و الدولة ،و سنناقش الجهد الشخصي و الأسري ،لأن جهد الدولة يتطلب استراتيجيات واسعة لست في صدد الحديث عنها ، إن بناء الإنسان يمكن أن يبدأ في أي سن فيقوم الشخص ببناء نفسه أو بالأحرى يطور نفسه ،لكنه سيواجه الكثير من المصاعب نظرا لأنه تعود العيش بطريقة معينة أسهل بالتأكيد مما يسعى إليه ،و الكسل هو طبيعة بشرية ،لذا يفضل أن نبدأ ببناء الإنسان منذ الولادة ،بل من قبل الولادة وهذه مهمة الأسرة ،فكيف سنبني أبناء المستقبل ؟

من اللحظة التي تقرر(ين) فيها الزواج تبدأ المهمة ،فإذا كنت تمارس(ين) أي نوع من العادات السيئة فعليك الإقلاع عنها كالتدخين أو تعاطي الكحول بكثرة أو تعاطي أي عقار مخدر ،طبعا قد تنجب(ين) طفلا صحيحا إلى حد بعيد دون فعل ذلك ،و ربما تنجح(ين) في بنائه بشكل جيد نوعا ما ،و لكن إقلاعك عن العادات السيئة هو مؤشر لقدرتك على تحمل المسؤولية و التضحية التي يتطلبها إنجاب طفل و رعايته .

في اللحظة التي يتأكد فيها أن الزوجة تحمل في رحمها طفلا سيحمل جينات الأبوين إلى الخلود تبدأ المهمة ،على الأم أن تعتني بهذا الجنين بحرص كبير و على بعلها أن يساعدها في هذا ،عليها أن تمارس بعض التمارين الرياضية المناسبة للحمل و أن تكثر من المشي فهو أفضل رياضة للحامل و يؤمن ميلاد طفل نشيط ،كما يوصل الدم الكافي للجنين الآخذ في التكون ،وعليها أن تحسن من نوعية طعامها وألا تزيد كثيرا من كميته ،على الزوج أن يعلم أن هناك اضطرابات هرمونية تحدث لدى المرأة الحامل ستؤدي بدورها إلى اضطرابات نفسية ،و عليه أن يعي ذلك و يتعامل معه ،عليكما أن تعلما أن الجنين يشعر بكما و يتأثر بمشاعر الأم و يسمع الموسيقى،و تكون مؤثرة في خياراته بعد الولادة .

لذا يمكن الحرص على توفير مشاعر الدفء و السعادة للحامل و الاستمتاع بالطبيعة و الموسيقى و الكوميديا ،بالإضافة إلى الابتعاد عن عوامل الإزعاج المختلفة ،يجب على الأبوين أن يزيدا من معارفهما فيما يتعلق بتطور الأطفال و نموهم و حاجاتهم و كيفية التعامل معهم بقدر ما يستطيعان.

عندما يبدأ الوليد بالصراخ يعلن للعالم أن هناك شخصا أخر بدأ للتو صراعه المرير من أجل البقاء في هذه الحياة و وظيفة من أحضره إليها أن يساعداه قدر

استطاعتهما ،هذا الدعم يبدأ من اللحظة الأولى التي ينظف فيها جسد الوليد و يوضع على صدر والدته،يجب على السيدات أن يلدن ولادة طبيعية إذا لم يكن هناك معوقات طبية وجيهة تمنع ذلك ،و أن لا يلجأن إلى القيصريات خوفا من الولادة أو لأن طبيبهن لا يريد انتظار المخاض ،فالعلاقة الناشئة عن الولادة الطبيعية لا تقارن بتلك الناشئة عن الولادة القيصرية ،كما يجب إرضاع الطفل رضاعة طبيعية و الرغبة في ذلك ،لأن هذه الرغبة تلعب دورا حاسما في تكوين الحليب .

لا بأس في التربية الرياضية و الموسيقية للرضيع فهي مفيدة لنموه الجسدي و الروحي ،فبعض تمارين الإيروبيك المدروسة بتحريك قدمي الرضيع و يديه ووضعه على بطنه ليرفع جذعه للأعلى أمر مفيد له ،كما تفيد الموسيقى و مداعبة الرضيع و مضاحكته في نقل المشاعر والطاقة الايجابية إليه.

علينا أن نعلم الطفل منذ نعومة أظفاره حب المعرفة ،و واجب البحث و العمل و احترام الوقت و تنظيمه ،لأنه سيواجه صعوبة في تحقيق هذه الأهداف إذا حاول اكتسابها بعد عمر معين ، بداية يجب ألا يتم تجاهل تساؤلات الأطفال أو إعطاؤهم إجابات اعتباطية و الاستخفاف بعقولهم ،بل يجب تنمية ملكة السؤال لديهم و أن نحاول تقديم الإجابات و التأكد من فهمهم لها ،و إن لم يفهموها فعلينا بذل الجهد في شرحها و تبسيطها و سياقة الأمثلة التي تبسط الفكرة المرجو إيصالها ،و مع الوقت يجب الادعاء أننا لا نعرف الجواب و ربما لا نعرفه حقا ، هنا علينا دعوتهم للبحث عن الإجابة و مساعدتهم في البحث ،فيتعلموا قبل الإجابة عن تساؤلاتهم أن الإجابات ليست جاهزة و يجب بذل الجهد في البحث عنها .

لنحتفل معهم بالمعارف الجديدة التي اكتسبوها بكل ما يحمله الاحتفال لهم من موسيقى و أطعمة و أجواء حميمية ،و مع تقدم أعمارهم تزداد و تتطور وسائل البحث لديهم،يجب أن نحرص على إن لا تتم أدلجتهم و تحجيم عقولهم و قمع تساؤلاتهم ،لقد ولد الأطفال بعقول حرة و بين أيديهم كل ثقافات البشرية و تجاربها ،لهم أن ينهلوا منها و يرسموا خياراتهم و معتقداتهم بأنفسهم و علينا أن نساعدهم على ذلك و نعلمهم المنطق و الاحتكام إلى العقل ،عليهم تقييم أفكارهم و مقارنتها بتجارب إنسانية سابقة ،ثم اكتشاف مدى إمكانية و جدوى تطبيقها في الواقع الذي يعيشون فيه بغض النظر عن رأينا و رأيهم في هذا الوقت ،أي أنه يتوجب عليهم التعامل بواقعية و إيجاد الحلول و المخارج و القدرة على التكيف دون التنازل عن الخصوصية، و القدرة على وضع الأهداف و السير قدما لتحقيقها.

ينمو الأطفال باللعب و علينا أن نعلمهم باللعب و هم سعداء و مرتاحون دون أن يشعروا بأنهم يفعلون شيئا يجب أن يفعلوه بل شيئا يريدون فعله ،ذكاء الأبوين و امتيازهما يكمن في جعل الأطفال راغبين و مندفعين لتحقيق الأهداف الموضوعة لهم في مرحلة عمرية معينة ،حتى ينضجوا و يصبحوا قادرين على وضع أهدافهم و نستطيع أن نطمئن إلى وعيهم و معرفتهم و قدرتهم على المحاكمة و الاختيار و تحمل المسؤوليات .

الرياضة مهمة للأطفال منذ البداية ،فبغض النظر عن فوائدها الصحية فان لها فوائد روحية جمة ،فهي تعلم الطفل الالتزام بالقوانين، و الانضباط ،و التعامل مع الفريق،كما تعلمه الصبر و الروح الرياضية في الفوز و الهزيمة ،وبالتالي تقضي على الأنانية و الاتكالية ، إذا ظهرت لدى الطفل مواهب متعددة فهذا دليل العبقرية ،و في حال ظهرت موهبة أو عدة مواهب فيجب رعايتها و دعمها بانتظام و بشكل ممنهج ،و يجب أن تلقى التشجيع و الدعم المعنوي ،ناهيك عما يمكن تقديمه للطفل من معارف و دعم لتقويتها و زيادة قدرته على تطويرها ،وهذا يخلق تحديا و ضرورة مهمة و هي تربية الطفل على احترام الوقت ،و الاستفادة منه ،فليس كل الوقت للواجبات المدرسية أو وقت فراغ يقتل بما لا يفيد ،لنعلم أطفالنا أن يرسموا جداول زمنية فيها أوقات للدراسة و اللعب و الرياضة و ممارسة الهوايات و تنمية الملكات ،و أن نساعدهم في تغييرها حين تفشل ، و أن نعلمهم أن الفشل هو بداية الطريق إلى النجاح .

يجب أن نركز على الألعاب التي تقوي المهارات العقلية ،و تلك الألعاب التي تتطلب من الطفل وضع قواعدها و نسج قصصها بنفسه ،لما لذلك من أثر عظيم على شحذ مخيلته و تقوية قدرته على التفكير و الإبداع ،و لا بأس أن نقص على أطفالنا تلك القصص الاسطورية وأن نعلمهم حين يكبرون قليلا أنها رمزية لا حرفية ،و تفيدهم في ما تقدمه من عبر و دروس ،و نناقش معهم مدى فهمهم لها ،كيف يمكننا تطبيق المفيد منها و هل يعرفون شيئا مشابها لها؟ .

الحوار الدائم مع الأطفال و المراهقين و الشباب أمر غاية في الأهمية ،علينا أن نحاورهم لا أن نوجه النصائح الرعوية الفوقية لهم ،و أن نسمع وجهات نظرهم و أرائهم و أحلامهم فإذا كانت وجهة نظرهم صحيحة فعلينا الموافقة عليها و اعتمادها ،و إلا فعلينا إقناعهم بوجهة نظرنا ،في حال فشلنا في ذلك و اعتقدنا أن أراءهم لا تناسبنا فعلينا طلب فرصة للبحث في المعارف و الأدبيات ، لنعود معهم لجلسة جديدة و نحفزهم على المزيد من البحث و عندها نصل إلى درجة من

المنطقية و العلمية ستوصلنا حتما إلى طريق واحد ،و قد نستفيد و نتعلم منهم مهما كانت أعمارهم تماما كم يستفيدون و يتعلمون منا .

يجب أن لا يخافنا أولادنا بل أن يحبوننا و يصادقوننا،و أن يكونوا في أي عمر و أي وقت صريحين معنا قادرين على مواجهتنا و الاعتراف لنا و مناقشتنا ،لا يجب أن يكون هناك أسرار ،علينا أن نراقبهم و نرعاهم في الأمور التي يودون تجربتها ، لا يجب استعمال العنف في تربية الأطفال ،و لكن يجب أن يكون هناك آلية للثواب و العقاب و يجب أن يعرف الطفل أن لكل عمل نتيجة، و النتيجة هي مسؤولية الفاعل وعليه أن يتحمل المسؤولية عن أفعاله و كلماته فلا تكون عبثية.

في سن المراهقة يجب أن نعرف و نراعي احتياجاتهم ،و أن تتقرب الأم لابنتها و الأب لابنه ،و لتكن بينهما علاقة من الصداقة و الأسرار الخاصة المخفية عن باقي أفراد العائلة لما لهذا السن من خصوصية ،إن التواصل الدائم هو أمر مهم جدا فالأطفال بحاجة إلى وقت كبير لرعايتهم .

علينا أن نعلم أولادنا أن يطوروا و يحسنوا أنفسهم،فمع شروق شمس كل صباح يجب أن يكونوا أكثر قوة و أكثر معرفة من اليوم الذي سبقه،يجب أن يؤمنوا بأن اكتساب المعارف و الخبرات يبدأ مع الولادة و لا ينتهي إلا بالموت ،و عليهم أن يقيموا أنفسهم من الخط البياني لهذه المعارف و المهارات ،فكلما كان الخط تصاعديا كلما كانوا ناجحين ،و كلما وقف عند حد معين أو كان آخذا في النزول كلما كانوا فاشلين .

بهذا نكون قد حققنا هدف الجنس في نقل جيناتنا و هدف الطبيعة في تحسين النوع ،فإذا جاء يوم كان لا بد فيه لنوع من البشر أن ينقرض و لنوع أن يبقى ،و بما أن البقاء للأقوى فان احتمالية بقائنا ستكون أكبر ،و بالتالي سنحقق حلم الإنسان بالخلود .

المبدأ السابع:التطور والوعي الاستبطاني

(عندما نبحث جيدا في داخلنا،سنجد أسرار التعويذات التي تغير حياتنا إلى الأبد و تقودنا إلى درجة جديدة من التطور)

تقول الحكاية القديمة إن مجموعة من الناس في القرية لاحظوا شجرة غريبة في مكان بعيد منزو ،فاقتربوا منها و أكلوا من ثمارها فتحولوا في التو و اللحظة إلى آلهة ! و عندها قرروا منع الناس من تناول ثمارها ،و كان عليهم إخفاؤها عن عيون الناس ،فدار بينهم جدل حول مكان إخفائها ،فقال أحدهم:فلنخبئها على قمم الجبال الباردة فان الناس لن يصلوها أبدا ، قال الثاني:بل نخفيها في قاع المحيط فان الناس لن يدركوها أبدا ، فقال أحكمهم:إن الناس و إن طال الزمان بهم فسيقدرون على الغوص إلى قيعان المحيطات و التسلق إلى أعالي الجبال و سيجدونها ،و لذا علينا تخبئتها في مكان لن يبحثوا فيه ،سنخبؤها في داخلهم و منذ ذلك الحين و الإنسان يتسلق الجبال العالية ،و يغوص في المحيطات العميقة باحثا عن شيء بداخله .

لنفرض الآن أنك في صحراء و الماء الذي معك يكفيك ليومين و حولك أربعة أشخاص كل منهم يقول أن الماء في الجهة التي يقترحها على بعد يومين من المسير ،و يقدم كل منهم لك بعض الخدع فتسأل(ين) كيف صنعوها ؟فيقول ثلاثة منهم أنها معجزات بقدرة السماء و هي التي أرسلتنا لنرشدك إلى الماء ،أما الرابع فيشرح لك كيف قام بالخدعة و يطلعك على أسرارها و تفاصيلها و يسمح لك بتجريبها ،فأيهم تصدق(ين) و الثمن حياتك ؟ أنا عن نفسي كنت لأصدق الرجل الرابع و سأتبع ما يقوله العلم ،و سأبدأ بالانفجار الكوني العظيم دون الخوض في التفاصيل العلمية .

كانت البداية بتشكل الالكترونات و البروتونات و النيوترونات ثم تشكل نوى الهيدروجين و الهليوم ،ثم أمكن للالكترونات و النوى أن تتجمع مع بعضها لتشكل ذرات الهيدروجين ،أي بداية ظهور المادة و هذه المادة تحولت إلى حياة و الحياة تطورت إلى الوعي ، من خلال معرفتي البسيطة التي يعرفها معظم الناس أعلم أن جزءا بسيطا من المادة تحول إلى حياة،و جزءا بسيطا من الحياة تطور إلى إنسان واع وعيا استبطانيا (أي أننا مدركين بكوننا واعين) و بالتالي فان جزءا صغيرا من الطاقة فقط تحول إلى مادة ،و هذا ما يعرف العلم المادي جزءا منه ككتل النجوم و الثقوب السوداء ،و جزء يبحث فيه علماء النفس و باحثي ما وراء الحس الميتافيزيقي فهم يؤكدون على الترابط بين أجزاء الكون (شظايا الانفجار الكوني العظيم)عبر الطاقة و يقولون أن كلا منا لديه حقل طاقة يصله بالآخرين و

بعناصر الكون المختلفة ،سماه بعضهم بحقل الطاقة الإنساني وسماه آخرون بالكارما و غيرهم بالعقل الكوني ،و فسروا على أساسه الكثير من الظواهر كالتخاطر و المعلومات الدقيقة التي يستقيها البعض من الأحلام و حالات التقمص و التنبؤ بدقة بأمور مستقبلية .

لا بد حين الانتقال من مرحلة إلى أخرى من وجود عتبات ،فهل توجد عتبات بين المراحل التي ذكرناها ؟ الجواب هو نعم ،فما يسمى بالجزيئات الأولية كالالكترونات و البروتونات هي العتبة بين الطاقة و المادة ففي بعض الحالات نراها تسلك سلوك الجسيمات و هو سلوك المادة، و في حالات أخرى تسلك سلوك الأمواج و هو السلوك الأكثر تمييزا للطاقة ! أما العتبة بين المادة و الحياة فهي الفيروسات و الجزيئات الكبيرة كا DNA،فهي في بعض الجوانب حية تستطيع تحت ظروف معينة أن تتكاثر ،و تستطيع أن تكون بلورات منتظمة وتسلك سلوك الجزيئات الأبسط منها .

أما العتبة بين الحياة و الوعي الاستبطاني التأملي فهي الرئيسيات و الشمبانزيات ،فهي مدركة لما حولها كباقي الحيوانات ،و لكن هل لديها وعي استبطاني كالبشر ؟ في التجارب التي أجريت على الشمبانزي بتعليمه لغة الإشارة ظهر أن بعض هذه الحيوانات لديها وعي بدائي حيث أظهرت القدرة على الاستدلال على بعضها بالرسم ! الرئيسيات عندما تنظر إلى نفسها في المرآة فإنها تدرك أنها ترى ذاتها و ليس حيوانا أخر من نفس النوع و هو ما لا تدركه بقية الحيوانات !

الأمثلة على التطور في حياتنا مزدحمة فالفلاحون يعرفون أن الحشرات تتطور لتتفادى المبيدات الحشرية ،و الأطباء يعرفون أن الجراثيم تتطور لتقاوم الصادات ،فننتج أجيالا جديدة من الأدوية و المبيدات الحشرية ، علم الجيولوجيا و الانتروبيولوجيا يبين لنا ترتيب الكائنات الحية بطبقات متتالية ،حيث تظهر كائنات أقدم و اقل تطورا في الطبقات السفلية و يزداد التطور بارتفاع الطبقات و حداثتها، في علم التشريح و عند دراسة الدماغ نجد ما يسمى بالتراكيب القديمة كمنطقة الشم التي ضمرت عند الإنسان إلى حد ما مقارنة بما هي عليه عند الحيوانات الأقل تطورا، فيما ظهرت التراكيب الجديدة التي عوضته عن هذا الضمور في التراكيب القديمة و قشرة الدماغ من هذه التراكيب التي تميزنا عن سائر الحيوانات و بمجرد تعطيلها لدى شخص ما فانه يتصرف تماما كأي حيوان ثدي أخر! علم الجنين أيضا يحكي لنا قصة تطور الحياة بكاملها ،فالجنين يبدأ تكونه بالانقسام الخلوي البسيط و تتكاثر التوتة الناتجة عن تجمع البويضة و الحيوان المنوي بالانقسام إلى أن تصل الأمور إلى الإنسان الواعي ذي القشرة الدماغية في

40 اسبوعا من الحمل ، إن نمو الجنين يعطي صورا لأشكال الحياة المختلفة مرتبة حسب قدمها. في بعض الأحيان يولد أطفال بتشوهات ولادية تنقل لنا قصة الحياة و تطورها فيولد طفل بذيل و طفل بأغشية بين أصابعه !!

إن ميزة العلم هي أنه يقدم لنا التجارب و البراهين و لا يروي لنا غيبيات يرفض إخضاعها للمحاكمة و التجربة ،و هنا أريد أن أنقل من احد الكتب العلمية تجربة أجراها ستانلي ميلر في جامعة شيكاغو تمكن أي شخص يريد أن يخلق بنفسه حياة بدائية من العناصر البسيطة التي توفرت على الأرض قبل بدء الحياة عليها ، تقول التجربة و أنقل :((تم تعريض حساء بدئي مكون من الماء و الميتان و النتروجين و الأمونيا و كميات ضئيلة من الهيدروجين لشرارات كهربائية (استثارة البرق) فكان أن تشكلت في غضون ساعات قليلة تشكيلة واسعة من مواد عضوية كالسكريات و الألدهيدات و الأحماض الكربوكسية و الأحماض الأمينية ،و هي في الواقع المكونات الأساسية لكل أشكال الحياة المعروفة على كوكبنا ،و قد تم تكرار هذه التجربة مئات المرات))،انتهى النقل ! .

يبدو لنا هنا أن الحياة هي نتاج للتطور الكيميائي و بالتالي يبدو أن المادة هي نتاج للتطور الفيزيائي أو بالأحرى الفيزياء النووية التي حولت الطاقة إلى مادة و هو ما لم نصل إليه في مختبراتنا بعد بالرغم من قدرتنا على تحويل المادة إلى طاقة ،و في هذا السياق يمكن القول أن التطور في كل خطوة يخطوها يخلق قوانين جديدة للمراحل الأكثر تطورا ،و لكنه يبقي على القوانين القديمة التي تبقى سارية على كل مكونات مراحل التطور ،و تسري القوانين التي خلقت مع كل مرحلة على هذه المرحلة فقط و المراحل التي ستليها و لا تشمل المراحل السابقة ، أي أن قوانين الفيزياء تنطبق على الطاقة و المادة و الحياة ،و لكن قوانين الكيمياء تنطبق فقط على المادة و الحياة فلا يمكن إجراء تفاعلات كيميائية على الطاقة ! و لكن يمكن إجراؤها على المواد و الكائنات الحية ،كما أن الكيمياء الحيوية و البيولوجي يمكن تطبيقها على الكائنات الحية و لا يمكن تطبيقها على المادة أو الطاقة .

يمر الإنسان في مسيرته المعرفية بنفس الشيء و التعنت بسبب الخوف من الجديد و التمسك بالقديم بكل وسائل الرفض و التقوقع على الذات و الهجوم على الحداثة يعيق تطور البشرية ،فعندما كنا ندرس الفيزياء و الكيمياء كنا نرفض إمكانية تجزيء الذرة ،و نعتقد بأننا لا نستطيع الوصول إلى ما هو اصغر منها ،و لكن مع ظهور العلوم الذرية صار بإمكاننا فصل النواة و الالكترونات ،و لكن هذا لن يلغي قوانين الفيزياء كما أن الطيران لم يلغي قانون الجاذبية ،إننا لا نخترع

شيئا بل نكتشف الأشياء الكثيرة الموجودة من حولنا ،و كلما كانت عقولنا أكثر انفتاحا كلما زادت فرصتنا في المعرفة .

إن الوعي التأملي أو الاستبطاني الذي نتمتع به قد يكون فرصة ثمينة لنقلنا إلى مرحلة جديدة من التطور ،و ربما يكون لنا الخيار فيها و نوفر بقدرتنا الواعية سلسلة طويلة من تجارب الطبيعة و أخطائها للوصول إلى مرحلة جديدة ،ربما هو منطق التسارع الذي يبدو أنه يحكم التطور .

ماذا لو استطاع جميع البشر تحرير عقولهم و الإدراك أن الكوكب بأسره كائن حي و نحن خلايا فيه ،ربما نتفوق حينها على الخلايا المكونة لنا التي هي واعية بذاتها و بمهامها في المتعضية الحية ،فخلايا المناعة تميز الأجسام الغريبة و تهاجمها و تعرف طريقها من عضو لأخر عبر الجسم ،إن تجمع الخلايا في كيان واحد سبب ظهور متعضية أكثر تميزا و أطول عمرا ،فبموت ألاف و ملايين الخلايا لا يتأثر الجسم و هذا ما يحصل فمهما مات من البشر يبقى الكوكب ،لم تعد كل خلية بحاجة لتفعل كل شيء بنفسها فقد توزعت المهام و صارت أكثر تخصصا ،ألا تتجه مجتمعاتنا نحو التخصصية أكثر فأكثر ؟!.

هل سيؤدي وعينا المتطور إلى منحى جديد من التطور ؟أم أن ذلك مرتبط بأمور أخرى كأن يبلغ عدد البشر 10 مليارات ليصبح العدد مساويا لعدد الخلايا العصبية في جسم الإنسان بينما تملك الثدييات الأقل تطورا عددا أقل من الخلايا العصبية ،أم أن هناك عوامل لا نقدر اليوم على إدراكها ؟، إن خوضنا في موضوع البحث عن درجة جديدة من التطور هو دليل على وعينا التأملي ،و لكن هل نستطيع أن نتخطى المصلحة الفردية لحساب المصلحة الجماعية ؟وهل هذا هو المطلوب حقا ؟و هل يغير رأينا شيئا في إرادة التطور و قوانين الطبيعة ؟

هناك حقيقة تقول أننا يوما ما سنموت كمتعضيات حية ،و أن كوكبنا سيموت وشمسنا ستنضب ،و لكن هل سنفنى ؟ ألن تبقى الذرات التي كونتنا و التي كانت من باكورة الانفجار العظيم ،من الواضح أن الوصول لنتيجة في هذا الموضوع أكبر من قدراتنا حاليا ،تخيل(ي) معي أن نواة الهيدروجين بعد الانفجار الكوني مباشرة أمكنها أن تدرك أنها ستتطور إلى إنسان تطور في مخابر الحياة ،التي تطورت في مخابر المادة ،التي ستتطور هي إليها يوما ما !،من يستطيع أن يسافر 400بليون سنة ليستجوب تلك النواة ،سيعود حتما ليخبرنا ما هو المستوى الجديد الذي نسير إليه من التطور ،و الذي يراود الكثيرين من البشر بمن فيهم أنا أننا أصبحنا على عتبته ...

المبدأ الثامن:التوازن بين المادي و المعنوي

(التوازن هو سلاح العبور في الحياة)

الصراع الأزلي بين الخير و الشر ،بين الحق و الباطل ،حديث الناس و الكتب ،انه حاجة الناس إلى الاصطفاف و التجمع و الاختلاف ،لأن التنوع إبداع الحياة ،و الحياة حاجة التطور ،لكن الحقيقة أنه ما من صراع و أن المتناقضات ما هي إلى مكملات لبعضها و خالقة لبعضها و بزوال أحداها يزول الأخر .كان يا ما كان و عندما كان البشر يتجمعون للصيد كان جميع الرجال يحظون بمهمة واحدة هي صناعة الأسلحة الحجرية و مطاردة الفرائس ،فيما كانت النساء تقمن برعاية الأطفال و طهو الطعام ،و لم تكن اللغة والجدال قد ظهرا بعد و من البديهي آلا يكون هناك رجل شرير و أخر قديس ،و مع بدء ظهور التعقيدات في المجتمعات الناشئة و ظهور اللغة الشفهية البدائية بدأ التمايز بين البشر ،ففي المجتمع الكبير هناك مهام كثيرة يفرضها التطور ،و هذا فرض بدوره توزيع المهام و بدأت تظهر الميزات الفردية ،فهذا يملك خيالا واسعا و لغة جديدة يمكنه أن يكون كاهنا ،و هذا قوي البنية يمكنه أن يكون صيادا و محاربا في ما استدعته المنافسة الوليدة على الصيد و الأراضي ،هذا ماهر في التعامل مع الأدوات وخلاق في تشكيلها سيصنع لنا ما نحتاج من أدوات و هكذا...

من طبيعة الأمور أن يبدأ الخلاف على الحقوق و تقييم القدرات و طرق توزيع الثروة ،يحصل جاري القوي على أرض أكبر من أرضي لأنه قادر على رعاية مساحة أكبر ،فيظهر المحراث فأصبح قادرا على حراثة أرضي و أرضه فاشعر بالغبن لأن أرضه أكبر و يشعر خالق المحراث بأنه مظلوم بين رجلين لديهما أرضا تطعمه ،و مما لي و لك ،و ما أستطيع و تستطيع بدأ الصراع بين أبناء النوع الواحد فكان لا بد من أيديولوجية و قانون يحكم الاختلاف و ينظم الصراع ،فبدأ مفهوم حقي كفرد و حقنا كقبيلة و أمة فيما يراه فرد أخر و أمة أخرى حقهم ،فنحن بالنسبة لهم على باطل و هم بالنسبة لنا على باطل ،و بدأت قصة احتكار الحقيقة و الحق و الخير كغطاء خلقه الوعي الإنساني من لا وعيه في الصراع على الموارد و امتيازات و رفاهية الحياة التي بدأت تظهر و تتطور ،و التي تؤمنها السيطرة على الموارد و التي من بينها الإنسان نفسه ،و بما أن كل هذا الصراع خلقه التطور العقلي فأسهل طريقة للسيطرة على الإنسان هو بالسيطرة على عقله.

إن الحقيقة هي أن لا حقيقة مطلقة ،وأن أي حقيقة هي جزء من الحقيقة ،و أن لا صراع بين المتناقضات فهي مكملة لبعضها ،فلو انتصر الخير على الشر فلا معنى

للخير وكيف سنعرفه إن لم يكن هناك شرور ؟ و إذا اختفى الأسود فكيف سنعرف الأبيض ؟ انه لون بلا معنى . إذاً لا صراع ،و كل ما تعيشه البشرية من حتمية انتصار الخير على الشر و أنه يوما ما سيزول الباطل ما هي إلا إيديولوجيات خلقناها بأنفسنا؛ لنعزي أنفسنا بواقع نرفضه و لا نستطيع تغييره و رفضنا له نابع من جهلنا بالحقائق و النواميس الطبيعية ، إن المصلحة هي ما يحكم العلاقة بين الكائنات الحية و الجشع البشري الناتج عن كثرة الموارد هو المسبب للمبالغة في تقدير المصلحة .

إن مصلحتك الحقيقية أن تأكل(ي) قدرا من الطعام يعينك على الحياة ،و لكن تنوع الطعام و كثرته و تنوع مذاقاته سيجعلك ترغب(ين) في أكله كله و احتكاره لتأكل(ي) كل الأصناف دائما مما يؤدي إلى حرمان أشخاص آخرين أقل منك قوة من حاجاتهم الضرورية ،نتيجة للجشع الذي نعتقد أنه مصلحتنا و هو ضد مصلحتنا،و هذا ينطبق على الدول و المجتمعات ويشرعن كل منهم حقه بأخلاقيات فصلها و فرضها و مع الوقت اكتسبت قدسية تستمر حتى يأتي من يقدر على تحطيمها و ابتداع أخلاقيات و قوانين جديدة .

الجسد الإنساني و الروح الإنسانية زوج من هذه المكملات التي وضعتها الإيديولوجيات البشرية على حلبة الصراع ،فعليك أن تعذب(ي)جسدك وتحرمه(تحرمينه) من حاجاته التي خلقتها الطبيعة كي تهدأ روحك التي ستحصل على السعادة و الرضا وستبقى بعد أن يفنى جسدك لتنعم بكذا وكذا و اترك كل المتع الجسدية لي أنا !أنت ضحي بجسدك و اقتل(ي) نفسك في سبيلي لتحرر(ي)روحك من بؤسها و تنتقل(ي)إلى عالم جديد يقدر لك تضحيتك بالجسد و يكافئ الروح الخالدة ،اقتل(ي)نفسك لتجلب(ي)لي الموارد و السلطة بكلمات أكثر صدقا وشفافية .

الخير و الحق في الروح و الشر و الباطل في الجسد فعاقب(ي)جسدك و اترك(ي) لي السيطرة عليه ،أنا أحدد له كيف يظهر ،ماذا يلبس،و كيف يعيش،فأنا أعلم منك و أقودك إلى الخير الذي تريد(ين)و أبعدك عن الشرور التي لا تريد(ين)،أقربك من الحق المضيء الذي تحب(ين)،و أبعدك عن الباطل المظلم الذي تكره(ين) ! ،و من جهة أخرى يقول الماديون ليس هناك من وجود للروح ،فأين هي و ما هي ؟

تقول(ين) أن روح هذا الإنسان جميلة و طيبة و نقية ،فهو حسن الخلق جيد التعامل مليء بالخصال الجذابة ،و هذا بفضل روحه وأنا أقول أنه جهازه العصبي و مكتسباته العقلية و ما أن أعطل شيئا منها حتى ينقلب ،فيصبح ذلك الدمث المهذب مصابا بالعصاب كثير الصراخ و الشتائم و التشنج ،و يصير ذلك الرزين

الحكيم منكوش الشعر يلعب مع الأولاد و يجلس عاريا تحت المطر ينظر إليك ببلاهة ، لا وجود للروح ،إنما هو الجهاز العصبي بخلاياه و سيالاته ما يحدد ما أنت عليه ،و بالتالي عليك أن تمتع(ي) جسدك فتستهلك(ين)كل ما أصنعه لك و تشاهد (ين)كل ما أبثه لك ،لا تبالي بالمشاعر الكاذبة ،ارتدي هذه الثياب لهذا المكان و تلك الثياب لتلك المناسبة ،اشتري هذا الجهاز و تخلى عن القديم السخيف ،لا تكونوا مدعاة للسخرية ،اعملوا في مصانعي و اشتروا من مصانعي و اقترضوا من مصارفي ،أخرجوا الموارد من باطن الأرض و صنعوها لأجلي و سأبيعها لكم ،و عندما تحصلون على حاجاتكم سأخلق لكم غيرها ،فاستمروا في العمل لدي لتجددوا ما لديكم ،لتمتعوا أجسادكم و تشبعوا رغبتكم في الامتلاك و التميز ،أنا أعرف عن الجسد أكثر مما تعرفون ،أنا من يفهم المادة و شكلها ،أما أنتم فمضللون بالروح و حاجاتها، فافعلوا ما أقوله لكم و سأمنحكم متعا لم تألفوها من قبل !.

عبيد هنا و عبيد هناك ،و دائما هناك ضيق و دموع و حاجة تتلاطم في داخلك ،يقنعك مؤدلجوك أنها من تقصيرك في العمل أو ضعف إيمانك بالحق و الحقيقة !فماذا ينقصك ؟ انه التوازن بين المادي و المعنوي ،أن نفهم أولا ماذا نختار و لماذا نختار، و أن نعرف تجارب من سبقونا و نسمع صوتنا الداخلي فنحن من روح و جسد ،الجسد نراه أم الروح فهي خاصية الجسد و ميزة المادة المتطورة ،و أريد أن أقارن الإنسان بجهاز الكومبيوتر الذي يتألف من جزء صلب (هاردوير) و جزء ناعم (سوفت وير).

كلما كانت قطع الهاردوير أفضل و تم تحديثه باستمرار كلما كان الجهاز أفضل و انطلاقا منه و بفضله يخلق السوفت وير ،و لكن يمكن وضع برنامج تشغيل سيء و بدائي فيحطم كل ميزات الهاردوير و يصبح الجهاز صندوقا معدنيا لا قيمة له ،كما يمكن أن نضع أفضل جهاز تشغيل لجهاز يملك هاردوير قديم و متخلف فلا يستطيع تشغيل هذا البرنامج و الاستفادة من ميزاته و يصبح الجهاز أيضا بلا قيمة ،و لهذا يجب بناء المادي و المعنوي و تحقيق التوازن بينهما بعدم إغفال أحدهما أو تقديمه على الأخر ،فلا يمكن إنكار الجسد و حاجاته ليصبح أفضل كما لا يمكن عدم تطوير و بناء القرص الصلب في الحاسوب ،و كما لا تلمس(ين) السوفت وير بيدك لا تلمس(ين) الروح بها ،و لكنها خاصية الجسد و بتحطيمك للخلايا العصبية تحطم الروح كما يختفي السوفت وير بتحطيم الهاردوير !.

بإشارات كهربائية يمكن عبر الجهاز أن نخلق صورا و موسيقى و أفلاما و ألعابا بعد برمجة الحاسوب ،و بسيالات عصبية يمكن عبر الجسد أن نخلق إبداعات و

رؤى و استراتيجيات و فنون و علوم و منظومات أخلاقية و اجتماعية بعد برمجة العقل . فيلم يحوي الكثير من الجمال و الإبداع يختفي عن الجهاز بضغطة زر واحدة ،و لكن أين ذهب هذا العالم المتكامل بصوره و ألوانه و موسيقاه ؟ ألم تفكر(ي) يوما بشيء جديد ابتدعته و أردت تنفيذه ثم رأيته و قد تحقق على يد شخص أخر ؟ ما الذي يفسر أن علماء في أماكن مختلفة من العالم في نفس الزمان ليس بينهم أي تواصل قد وصلوا إلى اكتشافات متماثلة في ذات الوقت ؟!

علينا أن نتعلم كيف نستفيد من كل إمكانياتنا و نوازن بين كل ما لدينا ،بين أرواحنا و أجسادنا ،حبنا و كرهنا ،طيبتنا و خبثنا ،فائدتنا و أذانا ،علينا أن نعرف أنفسنا و أن نعرف أن قدرتنا غير محدودة ،و علينا فقط كسر الحدود التي تفرض علينا بتحرير عقولنا و جعل وعينا أكثر واقعية و شمولية ، التوازن يحافظ على نسبة الأكسجين في الهواء فلا نختنق و لا نحترق ،يحافظ على دقات القلب و مرات التنفس ، التوازن يحقق حياتنا و يحمي وجودنا و ما علينا إلا أن نمسك العصا و نسير على الحبل و نتعلم التوازن ،و لنتوقع السقوط مرارا قبل أن نحقق متعة التوازن .

المبدأ التاسع:مهارات التواصل

(من السهل أن نتحدث إلى الآخرين ،لكن من المهارة أن تحدث كلماتنا تغيرا فيهم)

يتواصل أبناء اللغة الواحدة و الجنس الواحد ،تتواصل الأحياء و الجمادات راسمة طاقة ارتباط تعبر عن حاجة الكون في جمع شظاياه ،إن التناغم الحاصل من تواصل فعال بين شخصين أو أكثر يبعث قوة الحب التي تربط شظايا الكون المتناثرة مع بعضها ،و ما يهمنا كبشر بالدرجة الأولى أن نطور قدرتنا على التواصل مع الآخرين ،و على الأقل الآخرون الذين نرغب في التواصل معهم ؛لنرتقي بالعلاقة المرجوة إلى المستوى الذي نطمح إليه.

لتصبح متميزا(ة)في التواصل عليك أولا أن تكون(ي) صادقا(ة) مع نفسك ،و عليك أن تجيد(ي) الاستماع ،و تلجم(ي) رغبتك في التدخل طالما يسترسل الأخر في حديثه ،ثم عليك أن تتمتع(ي)بالنبل لتفهم(ي) الأخر و تحس(ي) به ،من الجيد أن تنظر(ي) في عيني محاورك ،و أن تهتم(ي)حقا لما يقوله بغض النظر عن رأيك في أقواله ،و بعد أن ينتهي تدلي بدلوك و تشرح(ي) رؤيتك في موضوع الحديث ،و من المهم جدا و أنت تسمع(ين) خصوصيات الآخرين التي سيخبرونك بها بعد أن تكتسب(ي) ثقتهم ،أن تخزنها(يها) في عقلك كتجارب بلا صور و لا أسماء ،وألا تفضح(ي) خصوصيات الآخرين مهما بلغت درجة الخصومة بينكم ، ليس من منطلق أخلاقي فقط ،بل لأنك لن تكون(ي) صادقا(ة) مع نفسك ،و سيشعر الآخرون بذلك في بعض الأحيان و لن يمنحوك ثقتهم ؛لأن الانطباعات الروحية و التاريخ الأخلاقي يشع في عينيك و نبرة صوتك وحركات شفتيك .

ربما لن يشعر بك الكثير من الناس لأننا نعيش في عالم يبتعد فيه الناس كثيرا عن صوتهم الداخلي و لكن الأكثر بساطة و الأطفال و الخبراء من تجاربهم سيفضحون أمرك ،و هذا يذكرني بتجربة باكستر التي أثبت فيها بوصله جهاز كشف الكذب(البوليغراف) إلى النباتات ،أن النباتات تخاف من الأشخاص الذين لهم سوابق في إيذاء نباتات أخرى ،و تروقني فكرة أن يكون لكل منا حامل من الطاقة تسجل عليه ايجابيات و سلبيات طاقتنا الذاتية ،و التي تكون أكثر ايجابية كلما كنا صادقين مع أنفسنا ،مرتاحين من التناقضات النفسية ،متناغمين مع قناعاتنا المكتسبة بالمعرفة و ليس بالوراثة .

يمكن لنا أن نتواصل بالكلمة و النظرة و اللمسة و الجسد ،عندما يدور حديث ذو شجون بين شخصين أو مجموعة أشخاص و يحقق هؤلاء التناغم ،فإنهم يشعرون براحة نفسية و سعادة عارمة ،فصوت الكمان جميل و لكن صوت مئة كمان

متناغم أكثر جمالا و عظمة ،يمكن أن ترى(ين) شخصا لا تريد(ين) أو لا تقوى(ين) لسبب ما على الحديث معه ،و بمجرد التقاء نظراتكما يتزلزل كيانك ،يمكن أن تتنفس(ي) قرب شريكك على الفراش و تحقق تواصلا منقطع النظير !.

من أقسى الأمور على الإطلاق أن نحاكم إنساناً دون أن نسمعه ،و أن نلغي إنساناً يختلف معنا في الرؤية ،الإلغاء ليس حلا و هو ما أوصلنا إلى البؤس الذي نعيشه اليوم ،الإنسان دائما بحاجة لأحد يصل إلى داخله ليسمح له بإظهار ما يخبؤه من كنوز ،انه فارس النور الذي يقبع في مكان ما في داخل كل منا ،انه الأميرة النائمة التي تنتظر أميرا يقبلها و يعيدها إلى الحياة ،و لكن الجهد الروحي اللازم للوصول إلى أعماق إنسان ما ليس سهلا أبدا و ليس من واجبك أو في قدرتك فتح كل الصناديق المغلقة ،و لكن عندما تنتشر هذه الثقافة بيننا ،ثقافة الصدق و التواصل و المحبة ،ستفتح جميع النوافذ في القلوب الموصدة و تدخل الشمس لتمسح الظلمة التي نلعنها في الآخرين صباح مساء.

قد تبدو هذه الكلمات طوباوية إلى حد بعيد ،و في هذا قدر كبير من الحقيقة ،و لكن هذا العالم الطوباوي قد يكون قابلا للتحقق في الحيز الصغير المحيط بنا إذا حاولنا خلقه،لتدخل الشمس ركنا في المجتمع ،و مع انتشار الثقافة ستتفتح الأركان تباعا ؛ليستيقظ المجتمع و الأمة و الإنسانية على وعي جديد قد يغير مصيرها إلى الأبد...

المبدأ العاشر:الديمقراطية و المساواة

(الكلمات البراقة ما هي إلا سراب يطارده الناس في صحرائهم،و هي لن تروي عطشهم أبدا)

الديمقراطية من أكثر الكلمات الكاذبة انتشارا في المجتمعات ،و التي يجترها مدعو الثقافة و السياسيون الكذبة ؛لخداع العوام بمشاعر ايجابية تم ربطها مع الزمن بهذه الكلمة ،لقد رأى بسمارك أن مئة من الحمقى يتفوقون عليه بلغة الديمقراطية و يصدرون قرارا قد يودي بمستقبل الأمة ،وقال هتلر في معرض حديثه عن البرلمان أن ألف جبان لا يمكن أن يصدر عنهم قرار بطولي ،أما موسوليني في مقدمته لكتاب الأمير فقد رأى أن الديمقراطية يمكن أن نستخدمها في سؤال الناس أين نضع لهم نافورة القرية ،و لكن لا يسأل العوام عن القرارات المصيرية .

في محاضر اجتماع حكماء صهيون المسربة يتناول الحديث كيفية التخلص من الممالك في أوروبا و تحويلها إلى جمهوريات يوضع لها رئيس دمية تعتدي على هيبته وسائل الإعلام باسم الحرية و الديمقراطية ،و يحاط بمستشارين يوجهون كل تصرفاته ، و في حال الفشل يحمل كل الذنوب و يزاح عن السلطة، فيما يبقى الحاكم الحقيقي الذي يفرض السياسات و يسيطر على الإعلام و المال و مصانع السلاح و أجهزة الاستخبارات و مراكز البحث العلمي و الجامعات ،يبقى في الظل حاكما واحدا دكتاتورا يرسم و يوجه السياسة العامة التي لا تتغير بتغير الدمى قراطية التي توضع في الأضواء.

لقد أظهر الأفراد في التاريخ أنواعا مختلفة من الذكاء إلا أن المجتمعات لم تظهر إلا الغباء ،و لم يقدم أي مجتمع شيئا مميزا إلا عند ظهور قائد فريد و مميز يوجه طاقات الأمة العمياء غير المتوجهة ،إن الديكتاتورية لم تعد تعني فقط احتكار الحكم بل صارت مرتبطة بكل المعاني السلبية من ظلم و فقر و معتقلات ،و بالتالي صارت مصطلحا منفرا ، في الولايات المتحدة التي تعتبر أهم دولة ديمقراطية عليك أن تنتمي إلى الحزب الديمقراطي أو الجمهوري لتصل(ي) إلى البيت الأبيض ،و لا يمكنك مهما كنت تملك(ين) من أفكار و مؤهلات أن تفوز(ي) بالانتخابات دون أن تنضوي تحت راية أحدهما ،كما أن الحملة الانتخابية تحتاج لأموال طائلة فمن يدفعها ؟ إذا كنت فقيرا(ة) فسيدفعها أحدهم و من المعروف أن الممول يفرض شروطه ،و أي قائد مدين مكبل بالجميل ؟! و إن كنت غنيا(ة) فان لم تعد الأموال مضاعفة فما الفائدة من هدرها في حملات انتخابية لخدمة الناس ☺ ،ماذا عن البرلمان و الكتل الحزبية الوصولية التي تتقاضى الرشاوى لتمرر قوانين على قياس الشركات و الأفراد ؟، ماذا يهم الناس من الحاكم أو تبديله ؟ما يهمهم هو أن

لا يشعروا بوطأة حكمه على حياتهم اليومية ،و أن يشعروا أن الدولة مؤسسة يتكئون عليها و لا تتكئ عليهم ،النظام البديل موجود و ما هو إلا مزيج بين الديمقراطية بحيث تعني فقط تداول السلطة و الدكتاتورية التي توفر قادة أقوياء و حقيقيين ،و لكني لست في صدد بحث هذا الموضوع في هذا الكتاب المخصص للأفراد و ليس للمجتمعات،، ما أردت إيصاله هنا أن المهم نوعية الحياة و ليس شعاراتها ،مواردها و ليس عملاتها .

أما المساواة فهي وقود الثورات و خبز الجائعين الوهمي و طاقة تدفع العبيد لتحطيم أسيادهم في سبيل صنع أسياد آخرين !، لطالما استخدمت هذه الكلمة في كل الثورات و الأديان على مر العصور للتلاعب بعواطف الناس الرازحين تحت الظلم الاجتماعي ،واعدين إياهم بحياة أفضل بعد الثورة يكونون فيها متساوين مع الأغنياء ،و دائما كان يتم استغلال العوام و الفقراء للتخلص من المنافسين على السلطة ،و لكن هل فكرة المساواة فكرة واقعية ؟ وهل يوجد شخصين في هذا العالم متساوين فعلا ؟بالطبع لا ،فلكل إنسان خصوصياته و ميزاته و قدراته التي لا يشبهها شيء أو شخص أخر و ما علينا إلا أن نضع الإنسان في مكان مناسب لتظهر قدرات و مواهب معينة، و بنقله لمكان أخر تظهر قدرات أخرى أو إخفاقات غير متوقعة فيما يبرز شخص كان فاشلا في المكان الذي تموضع فيه سابقا ،و بالتالي فان وضعهم في قالب واحد يلغي خصوصيات الإنسان و يحدد قدراته .

أعتقد أن العدل هو المصطلح الأكثر دقة ،فكل إنسان عليه أن يصنع ما يستطيع صنعه دون أن يتم تحديده ،و بقدر عمله و انجازاته يحصل على الاحترام و المكافآت ،و لا يساوى بشخص أقل منشأنا بحجة أنهما يملكان نفس المؤهل العلمي أو ينتميان لنفس الطبقة الاجتماعية ،لا يمكن مساواة العالم مع الجاهل و الذكي مع الغبي ،فالمساواة كثيرا ما تكون ظالمة ،و هدفها حشد العوام الأكثر عددا في جيش واحد و التربع على عرشه!

يمكن أن تسخر العبقرية الفردية في خدمة الجماعة ،و لكن من المؤسف أن تسحق العبقريات الفردية في بوتقة الجماعة .

المبدأ الحادي عشر:الأنا المغلفة بالجلد و معرفة الذات

(كل ما هو داخل الجلد أنا ،و كل ما هو خارج الجلد ليس أنا)

عندما وصل الإنسان إلى مرحلة الوعي أدرك أنه كائن مستقل جسديا و روحيا عن المحيط و مرتبط به في نفس الوقت،و بدأت الأنا بالتبلور و الظهور للعلن ،و بدأ الإنسان بالتعبير عنها بأشكال مختلفة فكل ما يقوله و يكتبه و يرسمه و يلبسه يعبر عن أناه ،و لكن طريقة التعبير الإنسانية عن الأنا ،أبدت الكثير من الاختلاف بين البشر.

لنفترض أن الإنسان اعتبر الأنا هو ما تحت الجاد حسب تعريف فلاسفة اليونان القديم لها ،ثم و مع نشوء المجتمعات و المدن و الحضارات تطورت هذه الأنا ،فنرى الإنسان يبذل روحه و جسده في سبيل شريكه أو وطنه أو فكرته ،فينكر هذه الأنا المغلفة بالجلد و أحيانا يستعبدها و يفنيها في سبيل أشخاص آخرين ،أو حفنة من التراب ،أو كلمات على ورقة!،هل نستطيع القول أن هذا الشخص يملك أنا متطورة و حضارية توسعت حدودها لتشما أشياء أشمل من أن يحددها جلده ؟ و أنا الأناني أو الأقل اندفاعا هو من لم تتطور أناه و لم تخترق جلده الفولاذي ؟ ☺

في اعتقادي أنها فقط اختلافات المقاربة بين الناس ،فالذي يضحي بحياته في سبيل حماية شخص أخر أو فكرة أو ما إلى ذلك إنما يرضي بالدرجة الأولى أناه العليا المثالية التي ترى نفسها مثالا و قدوة و اسطورة ،إنها الأنا المأخوذة بالعظمة و الخلود أو تلك المستعبدة بالواجب ،فلا تبالي بالقضاء على الجسد المادي في سبيل الشعر بالرضا الذي تحققه الأنا العليا ، هناك نوعان من الأنا هما الأنا الجامدة و الأنا المتضخمة ،الأنا الجامدة هي التي ما زالت محصورة بالجسد المادي ،فحماية هذا الجسد و متعه أهم من أي شيء أخر في الوجود ،فهي لا تبالي بكل ما يجري من حولها مهما تعاطفت معه ،سيما إذا كان هذا التعاطف سيؤدي إلى إيذاء الأنا المغلفة بالجلد.

الأنا المتضخمة نوعان :ضخامة حميدة و أخرى خبيثة ،و لنأخذ مثالا على أنا متضخمة لتشمل الوطن ،فأنا الوطن و بالتالي فان حدوده و كل ما يمسه يمس الأنا العليا لذلك الإنسان ،و لنرسم دائرتين واحدة كبيرة و بداخلها دائرة صغيرة ، في الأنا ذات الضخامة الحميدة تكون الدائرة الكبرى هي الأنا المغلفة بالجلد ،بحيث تتحمل الأعباء و تتلقى الضربات في سبيل حماية الدائرة الصغيرة التي بداخلها و التي هي الوطن ،فيفني هذا الإنسان نفسه في سبيل حماية أناه العليا و التي حددها بهذا الوطن ، في الأنا المتضخمة ضخامة خبيثة تكون الدائرة الكبرى

هي الوطن و الصغرى هي الجسد المادي ،فتحتمي هذه الأنا بأناها المتطورة و تحملها كل الصدمات لتحمي أناها الصغرى الغير متطورة المغلفة بالجلد ،و يمكنها أن تدمر الوطن بكامله لأن لا قيمة له بدون الأنا المغلفة بالجلد ، التي تعتقد أنها سبب كل شيء جميل في أناها المتطورة !،و لهذا فهي ضخامة خبيثة ؛لأنها تقحم أشخاصا آخرين قد يكونون أمة أو ربما البشرية بكاملها في تطور أناها المريض .

و في حين أن الأنا المتضخمة ضخامة حميدة تفيد الجماعة و الاندماج و بالتالي التطور لإنكارها الذات في سبيل الفكرة ،تضر الأنا المتضخمة ضخامة خبيثة الجماعة و الاندماج و بالتالي التطور لإنكارها الفكرة في سبيل حشوة الجلد ، إن معرفة الذات و البحث عنها أمر هام ؛لأنه يساعد على اكتشاف العيوب و الثغرات ،و يمهد الطريق لتداركها و التخلص منها ،و بالتالي يطور الإنسان و يعزز شخصيته و قدرته على النجاح و التفاعل ،كما يحقق له الاستقرار النفسي .

إن معرفة الذات هو مبعث للمصالحة مع الذات ،و التقييم الدائم من قبل الشخص لنفسه يجعله أقل عرضة للصدمات و الإحباط في الحياة المليئة بالمصاعب و الصاخبة بالمنافسة ،جرب(ي) أن تقف(ي)أمام مرآة روحك و تجرؤ(ي) على لمس أعماقك ،و طرح الأسئلة و البحث عن عيوبك و محاكاتها و محاكمتها و تقييمها و التعايش معها ،أو محاولة تغييرها لتصبح ايجابيات ترغب(ين) في أن تكون من خصالك ،و تدفعك لتصبح(ي) إنسان(ة) أفضل مع كل يوم يمر من حياتك.

الكثير من الجرأة و الشجاعة ،و الكثير الكثير من الصدق و الرغبة هي السبيل الأوحد لنلمس قعر أنانا و ندرك عمقها ،لنسبح في مجاهيلها و نجمع ألبومات صور عن أسرارها ،و بالطبع كل ما عرفنا أكثر عن أي شيء كلما كنا أقدر على فهمه و السيطرة عليه ، إن تجارب الحياة، و التواصل مع الآخرين ،و ملء العقل بالمعارف أشبه بعدة الغوص التي ستوصلنا إلى أعماق أكبر في محيطات ذواتنا ؛لنعرف ذواتنا كما هي ،و لندفعها إلى ما يجب أن تكون عليه لنصل إلى السعادة الهادئة طويلة الأجل التي تعيننا على برد الشتاء و حر الصيف ؛لنبتسم برنة و لندمع بحرارة ...

المبدأ الثاني عشر: أزمة الأخلاق

(الأخلاق حاجة إنسانية و ليست ترفا عقائديا ،و كثرة الحديث عنها يعني نقصا حادا في توافرها)

إن طبيعة الصراع في الحياة قد خلقت حاجة إنسانية لتنظيم هذا الصراع لتصبح حياتنا أقل صعوبة، فظهر القانون و هو القوة المشرعنة التي تفصل في كثير من الصراعات ،و لكن هذه القوة المادية ليست كافية و بحاجة أكيدة لتكون ديناميكية ،فكان لا بد من قوة أخلاقية و ضوابط ذاتية ،فنشأ مفهوم الأخلاق و بدأ يتبلور و يتطور ،لكن قولبة الأخلاق الإنسانية في عقائد جامدة تفترض المعرفة الشاملة في مضمونها و الحكمة المطلقة في أحكامها خلق أزمة حقيقية يتعامى عنها البشر ،على الرغم من أنهم يشعرون بوطأتها على حياتهم اليومية.

إن ما يبدو طبيعيا و أخلاقيا في أحد المجتمعات قد يبدو غريبا و فاسدا في مجتمع أخر ،و ما هو مقبول و بديهي في زمان معين قد يكون مستهجناً و غير منطقي في زمان أخر ،و على الرغم من أن الحاجات و المشاعر الإنسانية واحدة نجد اختلافات هائلة في المفاهيم و النظريات الأخلاقية ،و هذا يعني ببساطة أن هناك أزمة حقيقية تعصف بهذا المفهوم الحيوي! ، تكمن العلة في المفاهيم العقائدية المتوارثة و في البشر أنفسهم ،فتلك العقائد قوانين جامدة معصومة عن الخطأ،غير قابلة للتجريب و التغيير في حال أثبتت فشلها ،و عندما تغير فإنها تغير بالقوة المتفجرة عن عقائد جديدة دون أن تحتكم أي من القوتين للحاجات الإنسانية و التجربة الواقعية ،أما البشر فمن الأسهل أن تقول(ي) لهم ماذا عليهم أن يفعلوا من أن تشرح(ي) لهم حيثيات معينة و تطلب(ي) منهم أن يتخذوا القرار بأنفسهم .

إننا نملك الكثير من المعلومات و القليل من المعرفة ،الكثير من النظريات الفذّة و القليل من التطبيق الناجع ،الكثير من المشاعر و القليل من الحيز للتعبير عنها ،الكثير من المخاوف و التساؤلات و القليل من الجرأة لطرحها على أنفسنا أولا و على مجتمعاتنا ثانيا، مع كل هذا فإننا بالتأكيد نملك معضلة حقيقية في فصل المفاهيم و التصرفات في محاولاتنا الساذجة لفصل الخير عن الشر و الصحيح عن الخطأ و أجسادنا عن أرواحنا، ربما يكون العقل الذي هو امتيازنا الأول هو سبب قلقنا و تساؤلاتنا الخالدة ،فنلجأ إلى المسلمات لإسكاته و تغيبه.

إن التشنج الواضح و الخوف الغاضب الذي يظهر على إنسان ما عندما نناقشه في جدوى مسلماته ،و نجاعة أخلاقياته ،هو دليل صارخ على قوة الأدلجة الاجتماعية التي تبدأ من الطفولة الباكرة ،إن ردة الفعل هذه هي ردة فعل طبيعية من شخص

تحاول(ين) تحطيم أناه العليا بكلماتك ،فيتصدى بيديه لحروفك التي تحمل فأسا و تحاول تحطيم أوثانه ،ردة فعله الطبيعية و هو مظلم الروح أن يجيب بيديه مغلقا شبابيك روحه التي تحاول رياح عقلك الحر أن تفتحها للنور ؛لأن هذه الشبابيك و مهما عصفت بها الرياح لا يمكن أن تفتح للنور ،إلا إذا توفرت الرغبة الداخلية بعرفة ما هو خارجها، الرغبة في رؤية ضوء الشمس ،الرغبة المولودة من مخاض الخوف الذي يحتجز العقل .

إن التناقضات بين العقائد التي تحتكر الأخلاق تخلق الصراعات التي تفني الإنسان نفسه ظنا منه أنه يخدم أهدافا أخلاقية ،بينما الأخلاق وجدت لخدمة الإنسان و تلبية احتياجاته و ليس العكس ،و كم قضت الأخلاقيات المعلبة على أناس و مجتمعات سواء بتصفيتهم جسديا أو روحيا فتتحرك أجسادهم و هم أموات ،يتكلمون و يصرخون ،يضجون و لا ينصتون للصوت القابع في داخلهم و لا ينصتون لأصوات الآخرين ،يتباكون على قصصهم الاسطورية و لا يأبهون بعذابات من حولهم ،يفنون أرواحهم و أعمارهم في خدمة كذبات اخترعوها أصلا لخدمتهم!

إن الطريق الحقيقي لنكون أخلاقيين هو أن ندرك أننا بحاجة للمعاني السامية و التعامل الآدمي الراقي ،بحاجة لأن نكون صادقين مع أنفسنا و احتياجاتنا ،قادرين على سماع أنفسنا و الآخرين ،لنتخلص من كل الشوائب الفكرية العالقة بل الراسخة في عقولنا ،لنقيم أخلاقياتنا بفاعليتها على إحلال السعادة و السلام في أنفسنا المتخبطة ، هذه دعوة مليئة بالمحبة لكل من يقرأ(تقرأ) سطور هذا الكتاب ليفتح(لتفتح) عينيه(ا) من جديد ،و ليبدأ(لتبدأ) بالبحث و ملاحقة المعرفة ،فهذه المعرفة ستساعده(ا) على طرح التساؤلات و تقييم طريقة حياته(ا) و خياراته(ا) ،و ليبدأ(لتبدأ) بتأمل ذاته(ا) و الكون من حوله ،لتتدفق في تلافيف دماغه(ا) كل التساؤلات ،و لتندحر كل المخاوف.

لنحاول تغيير أنفسنا إلى الأبد و سنلمس كيف أن العالم بأسره سيتغير من حولنا ،و سيشع كما تشع نجمة في ظلمة الكون ،و مع تفجر النجمة تلو الأخرى سيمتلأ كوننا بالنور الذي نحتاجه ،و سنتخلى عن سوداويتنا و نحن نلعن الظلام ،لأننا سنشعر بسعادة أننا على الأقل أوقدنا شمعة...

د.عبادة معروف